الفصل السادس
ضوابط الاتصال في الدولة الإسلامية
(ضوابط نظام الإعلام الإسلامي)

ويحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول : ضوابط عقدية.

المبحث الثاني: ضوابط شرعية.

المبحث الثالث: ضوابط أخلاقية.

* * *

المبحث الأول
ضوابط عقدية

يتناول هذا المبحث: مفهوم وأهمية العقيدة الإسلامية، وكيفية ضبط وسائل الاتصال الجماهيري من خلال هذه العقيدة، وأنها يجب أن تكون هي المعيار والإطار لضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية، تتعاون في ذلك مع إطاري الشريعة والأخلاق حيث يمثل كل منهم مبحثًا قائمًا بذاته.

فمفهوم العقيدة ينبغي أن يكون واضحًا أمام القائمين على أمر الاتصال في الدولة الإسلامية، وأن يستصحبوا هذا الفهم أثناء ممارستهم للعمل الإعلامي، فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام، بل كل ديانة أو مذهب له عقيدته التي يعتنقها أصحابه ويقيمون عليها نظام حياتهم، وهذا أمر ينطبق على الأفراد والجماعات، والعقائد منذ بداية الخليقة وإلى وقتنا الحاضر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان:

قسم يمثل العقيدة الصحيحة التي جاءت بها الرسل الكرام، وهي عقيدة واحدة منزلة من العليم الخبير، لا يتصور بأي حال من الأحوال أن تختلف من رسول إلى آخر ومن زمان إلى زمان.

وقسم يشمل العقائد الفاسدة، التي جاء فسادها من كونها نتاج أفكار البشر ومن وضع زعمائهم ومفكريهم، ومهما بلغ علم البشر فإنَّه سيبقى مقيدًا بقيودٍ، ومتأثرًا بما حوله من عادات وتقاليد وأفكار.

والعقيدة الصحيحة اليوم تمثل الإسلام دون سواه؛ لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر].

والأديان الأخرى، وإن كان في عقائدها نتفًا من الحق فإنها لا تمثل الحق كلَّه؛ لذا تصبح العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، وهو بدون هذه العقيدة ضائع تائه يفقد ذاته ووجوده، والعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب على التساؤلات التي شغلت -ولا تزال تشغل- الفكر الإنساني بل تحيره: من أين جاء؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ وما دورنا في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا؟ وهل هناك عوالم أخرى غير منظورة وراء هذا المشهود؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها؟ وكيف تكون تلك الحياة إن كان الجواب بالإيجاب؟

لا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية اليوم تجيب إجابة صادقة مقنعة عن تلك التساؤلات، وكل من لم يعرف هذه العقيدة أو لم يعتنقها فإن حاله سوف يكون في اضطراب(1).

ومن هنا تنشأ أهمية العقيدة الإسلامية وضرورتها، وتبني هذه العقيدة في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية.

والعقيدة الإسلامية التي تشكل الإطار الضابط لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لها مصادر؛ **إذ يعد القرآن الكريم مصدرها الأول**، وهو منهج الله ودستور الحياة في العقيدة الإسلامية، والعبادة، وفي الاقتصاد والسياسة، وفي التربية والسلوك، وفي السلم والحرب، تربية للفرد وبناء للشعب وتمكينًا للأمة لتنهض بمسئولياتها نحو الحق والعدل والسلام.

قال الإمام علي بن أبي طالب ا : (...سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله؛ فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن] ، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مسقيم...) (الترمذي: 2906).

والمصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية: السنة النبوية، وهي ما ثبت عنه ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات تتصل بمعاشه ومعاده وعلمه وعمله وحربه وسلمه وعاداته وعباداته وسلوكه وأخلاقه.

والمصدر الثالث: هو ما يحفظ التاريخ لنا ويحمل إلينا من: سنن الخلفاء الراشدين، وأقوال الصحابة، وآراء التابعين، واجتهادات الأئمة، واستنتاجات العلماء، وما خلفوا من علم وحكمة(2).

فالعقيدة الإسلامية التي ينبغي أن تضبط الأداء في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية

---

(1) عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، الطبعة العاشرة (الأردن: دار النفائس، 1985م) ص14-15.

(2) كمال محمد عيسى، العقيدة الإسلامية سفينة النجاة، الطبعة الأولى (جدة: دار الشروق، 1980م) ص38-41.

هي العقيدة التي حولت هذه الأمة من رعاة غنم إلى رعاة أمم، ومن قبائل بداوة إلى أمة حضارة، وهيأت لها سبيل النصر على كسرى وقيصر، وفتحت لها باب السيادة على معظم الدنيا في عشرات من السنين[1].

ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد أن تنتج البرامج وتخرجها على أساس العقيدة الإسلامية واليقين بوجود الله سبحانه وتعالى، وأن تسلك في ذلك مسلك القرآن الكريم الذي يعلمنا أن الإيمان بالله ليس صعبًا على العقول ولا بعيدًا عن فطرة الإنسان، بل إن كتاب الكون المفتوح صفحات واضحات في دلالتها على وجود الله سبحانه، شاهدًا على وحدانيته وكماله... وإنك لتجد هذا المعنى في أكثر سور القرآن الكريم، وخاصة السور المكية التي عنيت بتثبيت العقيدة وتأكيد حقائق الإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

هذه الآية تضمنت تعريف العباد بخالقهم العظيم، فهو سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض في ستة أيام، وهو الذي قدر لهذا الكون أمره ودبر أحواله، ويكفي أن ينظر العاقل إلى ظواهر الفلك، وأن يتأمل تعاقب الليل والنهار؛ في هذه الحركة الدائبة المطردة التي لا تفتر ولا تختل منذ أزمان بعيدة، موغلة في القدم لا يعلم بدايتها إلا الله سبحانه وتعالى ولا يعلم نهايتها إلا هو، فكل هذه الكواكب والنجوم على كثرتها وعظم خلقها وخطر شأنها وكبر جرمها مسخرات بأمره سبحانه وتعالى؛ فهو خالقها ومسخرها ومنظم حركتها لا تستطيع أن تخالف ولا أن تتوقف.

فأيّ عقل يأبى قبول الإيمان بوجود الله سبحانه وهذه آياته في الأرض وفي السماء؟ ومن ذا الذي ينازع في أمر الكواكب والنجوم أو يدعي أن له شأنًا في حركتها أو نظام سيرها؟

ومن هنا يهتدي العقل السليم بعد التأمل في هذه الدلائل إلى الإيمان بتلك الحقيقة التي تتضمنها الآية في ختامها: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

تستطيع وسائل الاتصال أن تعرض العقيدة الإسلامية وترد أبلغ رد على مزاعم الفلاسفة، ولاسيما هذه الجملة التي ختمت بها هذه الآية، وترد على مزاعم الفلاسفة الذين جادلوا في شأن الألوهية بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، إذ زعموا أن الله -سبحانه

(1) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، الطبعة التاسعة (القاهرة: مكتبة وهبة، 1990م) ص310.

وتعالى- خلق هذا الكون ثم أهمله وتركه سدى. فلا يليق به سبحانه وتعالى- كما زعم المفترون- أن يعنى بشيء من هذه المخلوقات لنقصها، ولا يليق بكماله وعظمته أن يدبر شيئًا من أحوال هذا الكون المتسم بالنقص الصائر إلى الفناء، لكن القرآن الكريم قد نقض مزاعم هؤلاء المفترين، وبين أن الله -سبحانه وتعالى- لم يترك هذا الكون بعد أن خلقه، بل إن من شواهد القدرة الإلهية التي لا يعجزها انفراده -سبحانه وتعالى- بالخلق والأمر، فكل ظواهر هذا الكون ومقاديره صادرة عن إرادته سبحانه وتدبيره؛ لأن الخلق إيجاد من العدم، والأمر هو التدبير والتسخير، وبهذا لا يكون لأيٍّ من هذه المخلوقات -صغيرها وكبيرها وعاقلها وجاهلها- إلا داخل في الخلق والأمر، ولهذا يقطع العقل بعد هذا التأمل والنظر بأن الله وحده هو المستحق للعبادة، وهو المنعم على عباده بالخلق والأمر والتدبير...تبارك الله رب العالمين(1).

إذن، فالله هو الخالق المدبر لأمر الكون كله، وعلى هذا الأساس لابد أن تنضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بهذا الضابط، ولا تنسب لفظ الخلق إلى أحد غير الله، وهو وحده الخالق، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر:24] ، لا يشاركه في الخلق غيره، أما ما جاء في القرآن من الأخبار عن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله ÷ ، إنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ [المائدة:110] ، وقوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:49] . فالمراد بالخلق في الآيتين السابقتين التصوير والتقدير؛ أي صنع تماثيل على هيئة الطير من الطين بإذن الله، فإذا نفخ فيها عيسى كانت طيرًا بإذن الله، أي بقدرته سبحانه؛ لتكون آية نبوة عيسى ومعجزة دالة على صدقه، فلم يكن عيسى ابن مريم في الحقيقة خالقًا لهذا الطير، وإنما كان مصورًا لهيئته فقط، أما الخلق بمعنى الإيجاد من العدم ونفخ الحياة في المخلوقات فهو من أمر الله(2).

إن الله سبحانه وتعالى خلق الكون ودبر أمره، وهذا جانب مهم ينبغي على وسائل الاتصال عرضه وضبطه بالأطر العقدية الدالة على هذا التدبير، وقد جاء تدبير الله للكون في

(1) مصطفى عبد الواحد، الإيمان في القرآن، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الصحوة، 1987م) ص14-16.
(2) المرجع السابق.

كثير من الآيات، نذكر منها؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس].

وفي سورة الرعد، قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد:2] .

وقد كانت دعوة كل الرسل لهذه العقيدة -عقيدة لا إله إلا الله- وهي عقيدة التوحيد، ومعنى التوحيد أن يعلم الإنسان أنه لا إله إلا الله، وأن يفرده تعالى بالعبادة والاستعانة فلا يشرك معه شيئًا، وهذا معنى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة] ، التي يرددها الإنسان المسلم ما لا يقِلُّ عن سبع عشر مرة، كلَّما قرأ الفاتحة في الصلاة (1).

وقد خاطب الله رسوله بهذه الحقيقة، ومن ثم أمره أن يعلنها على الملأ، وهو المطلوب الآن من وسائل الاتصال؛ أن تعلن هذه الحقيقة آخذة القدوة والأسوة من رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، لاسيما أن وسائل الاتصال تطورت تطورًا ملحوظًا، مما يجعلها قادرة على ترسيخ مفهوم لا إله إلا الله، وإعلانها على ملايين البشر بواسطة هذه الوسائل.

قال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام].

هذه العقيدة التي عمادها لا إله إلا الله جاءت أدلتها من القرآن في آيات عديدة، **وقد تناول الإمام الرازي في تفسيره الكبير ثمانية من الأدلة على هذه العقيدة نوردها هنا:**

قال: اعلم أن الله -سبحانه وتعالى- لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية من الأدلة التي يمكن أن يستدل بها على وجوده -سبحانه- أولًا، وعلى توحيده وبراءته من الأضداد

(1) د . يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام (الدار البيضاء ، دار المعرفة) ص 10-11 .

والأنداد ثانيًا، وأخذ يعدد هذه الأدلة دليلًا تِلو الدليل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة].

والأدلة الثمانية هي:

1- الاستدلال بأحوال السماوات.

2- الاستدلال بأحوال الأرض.

3- الاستدلال باختلاف الليل والنهار.

4- الاستدلال بالفلك التي تجري في البحر.

5- الاستدلال بإنزال الماء.

6- الاستدلال بخلق الدواب وبثها في الأرض.

7- الاستدلال بالسحاب المسخر بين السماء والأرض.

8- الاستدلال بتصريف الرياح.

وختم الرازي هذه الأدلة بقوله: أما قوله تعالى:﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه ليقوموا بشكره وما يلزم من عبادته وطاعته(1).

من أهم القضايا التي عنى بها القرآن قضية التوحيد، وهي قضية العقيدة الأولى، وكذلك قضية خلق الله للكون وتدبيره لأحواله، وهي قضية عقدية لابد لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية من عرضها والتعامل معها وضبطها بضوابطها في القرآن الكريم، وهي نقطة الخلاف الأولى بين دعوة الإسلام وأوهام الجاهلية؛ قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [ص:4].

---

(1) عبد العال سالم مكرم، أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ) ص 31- 32.

وعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية توضيح أن القرآن أقام الدليل الناصع على فساد عقيدة الشرك ونادى البشر جميعًا ليعبدوا إلهًا واحدًا في ذاته وصفاته، لا ند له ولا شريك ولا صاحبة ولا ولد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وفي هذا الإطار تقدمُ وسائلُ الاتصال الأدلة العقلية والكونية على وحدانية الله سبحانه وتعالى، منها قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣﴾ [الإسراء]. وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾ [المؤمنون].

فقد بينت آية الإسراء أنه لو كان مع الله إله آخر لوقع التنازع والصراع، وبينت آية الأنبياء أنه لو كان هناك آلهة غير الله لفسدت السماوات والأرض، ومن ثم أوضحت آية (المؤمنون) أن الله سبحانه وتعالى لم يتخذ ولدًا، وأنه ليس معه إله، ولو كان معه آلهة آخرون لانفرد كل منهم بخلقه ولَتكبَّر بعضهم على بعض حتى يسلم سائرهم لأقواهم، فحينئذ فالأقوى هو الإله، والآخرون ليسوا آلهة، وهكذا نرى السور الثلاث قد تكاملت في إيضاح الدليل وتأكيد نفي الشرك عن الله سبحانه وتعالى بحكم العقل إلى جوانب شواهد الكون، ونلاحظ أن آية سورة المؤمنون أقامت الدليل على نفي الشريك عن الله عز وجل قد سبقت بدليل كوني على تلك الحقيقة يعد تمهيدًا للحجة العقلية، قال تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠﴾ [المؤمنون] ، وبعدها تأتي الآية التي تنفي عن الله سبحانه الولد والشريك، وتبين ما ينشأ من افتراض وجود الشركاء من فساد ينفيه نظام الكون المحكم، ووحدة الخلق في السنن والتكوين، وهذا يبين أن القرآن قد سلك مسلك النظر الكوني، ومسلك الدليل العقلي في إثبات التوحيد ونفي الشركاء، كما نلاحظ أن هذه الآيات من سورة (المؤمنون) قد جاءت بأسلوب التشويق الذي نجده في القرآن في المواطن التي تحتاج إلى إيقاظ المشاعر الهامدة، وتحريك القلوب الجامدة، وقد أحاطت هذه الآيات بالمعاندين من كل

جانب، بإثارة هذه الأسئلة المفاجئة التي تستخرج الجواب أسرع ما يكون، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ [المؤمنون:84] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ ﴾ [المؤمنون:86] ﴿ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [المؤمنون:88] والجواب في كل موضع (الله)، أي: ذلك خالص لله سبحانه لا ينازعه فيه أحد، إذن ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون] أي: كيف تصرفون عن هذه الحقائق؟ وتتجاهلون دلالة الكون وهو يناديكم بأوضح منطق، منطق المشاهدة والعيان؟ وأمام هذا الدليل العقلي الذي أقامه القرآن على نفي الشركاء وإثبات الوحدانية لله سبحانه لم يبق للمشركين المعاندين من حجة، وقد طالبهم القرآن أن يظهروا ما لديهم من برهان على ما ادَّعوا من دون الله من أنداد، فلم يجدوا ما يقولون إلا الزور والبهتان، فهاهم في صورتهم الحقيقية لا يملكون دليلًا من شواهد الكون على ما يزعمون ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:40]، ويكتفي السياق هنا بالأرض، ولا يطالبهم برؤية ما خلقت أصنامهم في السماء، فحسبهم إن استطاعوا أن يدلونا على أثر معبوداتهم الباطلة في الأرض وحدها، أو في جزء صغير منها، وأن يدلونا على نصيب معبوداتهم من السماء، لكنهم لا يقدرون على هذا ولا ذاك، ثم تطالبهم الآيات بالدليل العقلي إن كان لديهم دليل ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف]، وأي علم يثبت لهم أن لله شركاء فيما خلق وبرأ؟ وأي كتاب يقرهم على مسلك الجهالة والجحود؟

إذن فليس للشرك من حجة ولا برهان، وإنما هي أهواء متبعة وأوهام متسلطة، وقع هؤلاء الأشقياء صرعى بها، فأصبحوا نجسًا؛ إذ فارقتهم طهارة القلب، وغابت عنهم بديهة العقل وسلامة الوجدان، ولهذا استحقوا أن يوصفوا بهذا الوصف(1) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة]، ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد أن تنضبط بالمنهج الرباني، وأن يعرف القائمون على هذه الوسائل هذا المنهاج الرباني، وهو الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد ﷺ ليبلغه للناس أجمعين وليبينه لهم، ولتختم به الرسالات السماوية، وهو من عند الله وحده، وهو إما وحي يتنزل على الرسول ﷺ بالمعنى والنص، أو إلهام من عند الله سبحانه وتعالى لرسوله ونبيه بالمعنى ويصوغ الرسول ﷺ هذا المعنى بأسلوبه النبوي، وبذلك

(1) مصطفى عبد الواحد، الإيمان في القرآن، مرجع سابق ص 39-42.

يكون المنهاج الرباني هو القرآن الكريم وما صح من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، والمنهاج على هذه الصفة يتميز على كل ما يمكن أن يصفه البشر من مناهج وصفية بصفات، لتبرز علويته وربانيته، **وأهم هذه الصفات ما يلي:**

1- أنه الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾ [الرعد]. ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد]. وعن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)(الموطأ: 1594) (1).

2- أنه تام كامل: قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

3- أنه مفصل بيّن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ]، ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

4- وهو للناس كافة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: 28].

5- وهو هدى ورحمة وبشرى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

6- وهو شفاء ونور: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء:82].

7- وهو النور: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ [التغابن].

ولهذه الصفات المتقدمة وغيرها كان معجزًا، فقد تحدى الله سبحانه وتعالى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، وتحدى الكافرين على أن يأتوا بمثله بعشر سور أو يأتوا بسورة: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء].

---

(1) رواية يحيى الليثي.

8- وأنه الذكر الذي نزل على محمد ﷺ ليبلغه للناس عامة ويبينه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

9- وأن الله قد تعهد بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

10- وأنه ميسر للذكر؛ جاء ميسورًا سهلًا لينًا على القلوب المؤمنة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر].

وعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم مادتها - المقروءة والمشاهدة والمسموعة- وفقًا لهذا المنهاج الرباني المستوفى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ(1).

وهذا المنهاج الرباني إذا التزمت به وسائل الاتصال فإنه سيلبي حاجة العالم، فضلًا عن حاجة جماهير الدولة المسلمة؛ لأن العالم الآن في حاجة لملء الفراغ الذي أوجدته النزعات المادية في نفوس البشر، كما يسد -أيضًا- الاحتياجات العاطفية ليحدث الاستقرار النفسي لدى البشر في كل المجتمعات؛ حتى لا يشعروا بأنواع الفراغ العاطفي الذي يدفع إلى الأمراض النفسية المستعصية وغيرها من أمراض الشذوذ التي تؤدي إلى الانتحار بصورة فردية وجماعية في كل مجتمع من هذه المجتمعات، ومن ثم فالفرصة سانحة أمام وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لأن تقدم المبادئ الإسلامية وعقيدة الإسلام السمحاء التي من شأنها أن تنشر الأمن والاستقرار النفسي الداخلي بين البشر وبين المجتمعات، ولهذا تسعد البشرية كلها في الدنيا والآخرة(2).

إن حاجة الإنسان إلى الإيمان بوجود الله حاجة أساسية، سواء من الناحية العقلية والفطرية أو الناحية العاطفية، فالإنسان منذ أن وجد على سطح البسيطة وهو يسأل: كيف وجد؟ ومن أين جاء؟ وإلى أين يذهب؟ ومتى يذهب؟ هذه الأسئلة ذاتية تنبعث على لسانه، وتتحرك في ذهنه طالما بدأ يدرك وجوده ويحس بالكائنات حوله، الأمر الذي يجعل الإيمان حيًّا في النفوس متفاعلًا معها، وإذا قارن الإنسان نفسه مع سائر المخلوقات الكونية أدرك أنه مخلوق صغير بالنسبة للكون ولمظاهر الطبيعة وللسنن المستمرة، وهذا ما يشعره بضعفه،

---

(1) عدنان النحوي، دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الاعتصام، 1979م) ص 21-24.

(2) عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى (بيروت عالم الكتب، 1985م) ص 84-85.

فيلجأ إلى الإيمان بالله ويستمد منه القوة في الحياة والعون في التعامل مع السنن الكونية[1].

إن العقيدة الإسلامية عندما ينضبط بها الأداء في وسائل الاتصال يتعلم الناس أن سكينة النفس لا تكون إلا بالعقيدة الإسلامية، وأن هذه السكينة هي الينبوع الأول للسعادة، ولكن كيف السبيل إليها؛ إذا كانت شيئًا لا يثمره الذكاء ولا العلم ولا الصحة ولا القوة ولا المال ولا الغنى ولا الشهرة ولا الجاه، ولا غير ذلك من نعم الحياة المادية؟

إن للسكينة مصدرًا واحدًا -ليس هنالك مصدر سواه- ألا وهو: الإيمان بالله واليوم الآخر. الإيمان الصادق العميق، الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق، وهذا ما يشهد به الواقع الماثل ويؤيده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسان بصير منصف في نفسه وفيمن حوله، لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس ضيقًا في الخلق واضطرابًا وشعورًا بفقدان الذات والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، وأن السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها[2].

وتستطيع وسائل الاتصال أن تُعرِّف المجتمع بوحدانية الله تعالى، وتُقِيم الأدلة على ذلك؛ ليتبصر بها أفراد المجتمع؛ **ومن هذه الأدلة ما يلي:**

1- أن الإنسان لم يخلق نفسه ولم يخلق أولاده، ولم يخلق الأرض التي يدرج فوقها، ولا السماء التي يعيش تحتها. والبشر الذين ادَّعوا الألوهية لم يكلِّفوا أنفسهم مشقة ادِّعاء ذلك، فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والإبراز من العدم لم ينتحلها لنفسه إنسان ولا حيوان ولا جماد، ومن المقطوع به كذلك أن شيئًا لم يحدث من تلقاء نفسه، ولم يبق إلا الله، وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور]، وهو بذلك يلفت أنظار العرب إلى مظاهر الإبداع في المجتمع البسيط الذي يعيشون فيه، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية]، ويسمى هذا الدليل دليل الإبداع.

2- لو دخل المرء دارًا فوجد بها غرفة مهيأة للطعام، وأُخرى للنوم، وأخرى للنظافة، وأخرى للضيافة... إلخ لجزم بأن هذا الترتيب وهذا الإعداد النافع لابد أنه قد نشأ عن تقدير

---

(1) نادية شريف العربي، أضواء على الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م) ص67.

(2) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، الطبعة التاسعة: (القاهرة: مكتبة وهبة، 1990م) ص 60 - 61.

وحكمة، وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل، والناظر إلى الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف كيف أنها محكمة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب، وأفاد منها الناس أجمل الفوائد. وما وصل إليه علم الإنسان من أسرار العالم حاسم في إبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق، كلا إن النظام الدقيق في طوايا الذرة مطرد فيما بين أفلاك السماء الرحبة من أبعاد: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان] .

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية].

وفي القرآن الكريم آيات شتى تقرر هذا الدليل، ويسمى دليل العناية.

3- هل فكرت في هذه السيارات المنطلقة؟ أي هذه الكواكب التي تخترق أعماق الجو، والتي تلزم مدارًا واحدًا لا تنحرف عنه يمينًا ولا يسارًا، وسرعة واحدة لا تبطئ فيها ولا تعجل. إن الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين، ثم لا تلبث أن تهوي بعد تحليق، وهذه الكرات الغليظة الحجم، الحي منها والميت، المضيء منها والمعتم، فهي معلقة لا تسقط، سائرة لا تقف... كل في دائرته لا يعدوها. وقد يصطدم المشاة على أرضنا، وهم أصحاب بصر وعقل، أما هذه الكواكب التي تزحم الفضاء فإنها لا تزغ ولا تصطدم قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس] .

من الذي هيمن على نظامها؟ وأشرف على مدارها؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة، ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة؟ إنها لا ترتكز في علوها إلا على دعائم القدرة الأعلى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر]. ويسمى هذا الدليل دليل الحركة.

4- لا شك أن لوجود كل واحد منا بداية معروفة، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئًا يذكر: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان].

فالإنسان وعناصر الكون الذي يعيش فيه كذلك لها بداية معروفة، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعمارًا محدودة مهما طالت، فقد كانت قبلها صفرًا، وكان هناك ظن بأن المادة لا

تفنى؛ اعتمد عليه فريق من الناس في القول بقدم العالم، وما يتبع هذا القول الموهوم من أباطيل، إلا أن تفجير الذرة هدم هذا الظن، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن بأنه حقيقة ثابتة، فإنّ المفتاح الذي يفتح على العالم أبواب الفناء، ليس من الضروري أن يضعه الله في أيدي العلماء. وعدم اهتداء الناس إلى ما يدمر مادة الكون لا يعني أن مادة الكون غير قابلة للدمار والفناء. إننا جازمون أن وجودنا محدث لأن تفكيرنا وإحساسنا يهدينا لذلك، وغير معقول أن يتطور العدم إلى وجود وجود – أي ذاتي – إنه إذا وقعت حادثة ولم يدر فاعلها، **قيل**: إن الفاعل مجهول. **ولم يقل أحد قط**: إنه ليس لها فاعل. فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وربه؟ إننا لم نكن شيئًا فكنا، فمَنْ كوننا؟ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام]. ويسمى هذا دليل الحدوث(1).

بمثل هذا العرض للعقيدة الإسلامية والانضباط بها تستطيع وسائل الاتصال أن تربط الجمهور في الدولة الإسلامية بخالقه، وتصنع منه جمهورًا مَوَحّدًا صحيح العقيدة، وتحرره من عبادة العباد والنظريات إلى عبادة الله وحده، وهي حقيقةٌ هدفَ لها رجال الاتصال منذ نزول القرآن وفجر الإسلام، حينما كانوا يفدون إلى مقابلة عظماء الفرس والروم وهم يقومون بمهمة الاتصال، فكانوا يسألونهم عن هدفهم الذي أخرجهم من ديارهم، فيقولون: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة. وأهم ما تحرص عليه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية: أن توضح أن الإسلام جاء لتحرير قلب العبد من تلك العبودية. فالقلب هو الركن الأصيل الذي يقود الجسد كله ويسيره ويوجهه، وبصلاحه يصلح الإنسان.

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب)(البخاري: 52).

والقلب أيضًا هو محل الاعتقاد، وموضع الإرادة والنية، فصلاح الاعتقاد والعقيدة يصلح القلب، وبصلاحه يصلح الإنسان، ولابد لوسائل الاتصال أن تُعرِّف العبد بربه وصفاته وأسمائه وأفعاله، وتعرِّفُه بملائكة الرحمن، وباليوم الآخر وما أعده الله فيه لمن أطاعه ولمن عصاه، وبصلاح القصد بأن يتوجه المرء نحو خالقه بأعماله كلها؛ فلا يقصد بعمله ملكًا

(1) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، الطبعة الرابعة (دمشق: دار القلم 1983م) ص13-16.

ولا ملكًا ولا شجرًا ولا حجرًا ولا بشرًا، وهذا هو الإخلاص في العبادة الذي لا يقبل من أحد دينًا سواه، يقول تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر] ، ويقول: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر].

وعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم كل المواد من خلال هذه النظرة، نظرة أن الإيمان بالله هدفه تحرير الإنسان من كل عبودية غير العبودية لله وحده(1).

وفي إطار تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، يقع على عاتق وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن توضح للجماهير أولى خصائص الألوهية، وهي حق تعبيد الناس وتطويعهم للشرائع والأوامر، وحق إقامة النظم والأوضاع والمناهج والشرائع والقيم والموازين وحمل الناس على اتِّباعها، وهذا الحق في جميع الأنظمة الأرضية يدعيه بعض الناس في صورة من الصور، ويرجع الأمر فيه إلى مجموعة من الناس على وضع من الأوضاع، وهذه المجموعة التي تخضع الآخرين لأنظمتها وأوضاعها ومناهجها وشرائعها وقيمها وموازينها هي الأرباب الأرضية التي يتخذها الناس في جميع أنظمة الأرض أربابًا من دون الله، ويسمحون لها بادعاء خصائص الألوهية والربوبية، عن طريق السماح لها بادّعاء الحاكمية ومزاولتها ومزاولة ابتداع الأنظمة والأوضاع والمناهج والشرائع والقيم والموازين، كما يسمحون لها برفض ألوهية الله سبحانه وتعالى وربوبيته في الأرض، ذلك عن طريق السماح لها بتنحية شريعة الله عن الهيمنة وحدها على حياة الناس كلها، وهم بذلك يعبدون هذه الآلهة والأرباب من دون الله، وإن لم يركعوا لها ويسجدوا ويسلموا لها؛ بأن ترفض ألوهية الله وربوبيته في السماء وفي الحياة الآخرة وفي الضمائر والشعائر، والإقرار بألوهية الله سبحانه وربوبيته لا يقوم إلا حين تقر النفس ربوبيته في السماء وفي الأرض وفي الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وفي ضمائر الناس وشعائرهم، وفي حياتهم وواقعهم على السواء، بحيث لا تخرج جزئية واحدة من جزئيات الحياة البشرية في الدنيا ولا في الآخرة عن سلطانه إلى سلطان سواه، وهذا مدلول قوله(2) سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزُّخرُف].

(1) عمر سليمان الأشقر ، أثر الإيمان في تحرير الإنسان ، الطبعة الثانية (عمان : دار النفائس ، 1991م) ص 16-17.
(2) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، الطبعة الأولى (القاهرة : دار الشروق ، 1986م) ص 18-19 .

وبهذا الفهم تكون وسائل الاتصال المنضبطة بالعقيدة الإسلامية قد أدت دورها الحقيقي في ربط العباد بخالقهم، ويتم تحريرهم حتى يسلموا القيادة لله سبحانه وتعالى، وكل ما تقدم من مقومات العقيدة الإسلامية لابد أن تصحبه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية فتضبط به الأداء في وسائل الاتصال، حتى تكون ثمرة أداءٍ لها واضحة في المجتمع، لأن الدولة الإسلامية دولة تقيم بناءها كلّه، السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي وفق العقيدة الإسلامية، فيتحقق الانضباط وتتكون له ثمراتٌ في كافة مجالات الحياة في الدولة الإسلامية؛ بحيث تصبح للعقيدة الإسلامية ثمرة تجعل الإنسان يعيش الأمن النفسي الذي يحقق له السعادة والسكينة ويجعل المؤمن آمنًا على رزقه؛ فإن الأرزاق في ضمان الله الذي لا يخلف وعده ولا يضيع عبده، وقد خلق الأرض مهادًا وفراشًا وبساطًا وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وجعل فيها معايش، ووعد عباده بكفالة الأرزاق وعدًا كرره وأكده وأقسم عليه، وعدُ كريم لا يبخل، قديرٍ لا يعجز، حكيم لا يعبث. قال تعالى:

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف].

﴿وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم].

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود].

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت].

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنًا على رزقه، مطمئنًا إلى أن الله لن يهلكه جوعًا - وهو الذي يطعم الطير في الوكنات، والسباع في الفلوات، والأسماك في البحار، والديدان في الصخور.

وقد كان المؤمن يذهب إلى ميدان الجهاد حاملًا رأسه على كتفه متمنيًا الموت في سبيل الله وفي سبيل عقيدته، ومن خلفه ذريته ضعاف وفراخ، زغب الحواصل لا ماء ولا شجر، ولكنه كان يوقن أنه يتركهم في رعاية رب كريم وهو أبر بهم وأحنى عليهم منه، وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهب في سبيل الله: (إنني عرفته أكالًا وما عرفته رزاقًا، ولئن ذهب الأكال فقد بقي الرزاق)[1].

(1) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق ص 151-152.

والعقيدة الإسلامية سوف تقود إلى التغيير الاجتماعي وإلى الإصلاح؛ إذ إن إصلاح الجماعات والشعوب لا يجيء جزافًا ولا يتحقق عفوًا، إن الأمم لا تنهض من كبوة ولا تقوى من ضعف ولا ترتقي من هبوط إلا بعد تربية أصيلة حقة، وإن شئت فقل بعد تغيير نفسي عميق الجذور يحول الخمود فيها إلى حركة، والغفوة إلى صحوة، والركود إلى يقظة، والفتور إلى عزيمة، والعقم إلى إنتاج، والموت إلى حياة، تغيير في عالم النفس أشبه ما يكون بثورة أو انقلاب في عالم المادة، تغيير يحوّل الوجهة والأخلاق والميول والعادات، تغيير نفسي لابد أن يصاحب كل حركة أو نهضة أو ثورة سياسية أو اجتماعية، ومن غيره تكون النهضة أو الثورة حبرًا على ورق، أو كلامًا أجوف تبدد في الهواء.

وهي سنة قائمة من سنن الله تعالى في الكون، قررها القرآن في عبارة وجيزة بليغة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11].

ولكن هذا التغيير المنضبط بالضوابط والأطر العقدية أمر ليس بالهين أو اليسير، إنه عبء ثقيل تنوءُ به الكواهل. والإنسان مخلوق مركب معقد، ومن أصعب الصعاب تغيير نفسه أو قلبه أو فكره.

إن صنع هذا الإنسان أمر عسير غير يسير، ولكن الإيمان وحده هو صانع العجائب، لذلك كان لابد لوسائل الاتصال من أن تنضبط بهذا الإيمان والعقيدة الإسلامية في أداء مهامها في مجال التغيير الإنساني(1)، وحتى يحصل التحول الإنساني، كما كان حال التحول الأول بالعقيدة الإسلامية التي حولت القبائل البدوية إلى أمة ذات حضارة، سادت على كل الحضارات في ذلك الزمان في زمن قصير، وذلك كله بفضل أن الذين قدموا العقيدة الإسلامية كانوا يضبطون دعوتهم وحركتهم بأطر العقيدة الإسلامية.

والدولة الإسلامية في العصر الحاضر أحوج ما تكون إلى أن تنضبط وسائل اتصالها بالضوابط العقدية، وفي مقابل تقديم العقيدة الإسلامية الصحيحة لابد لوسائل الاتصال أن تبين فشل المذاهب والنظريات المادية، وإظهار الحلول المناسبة والملائمة للتخلص من الويلات والمشكلات التي خلقتها تلك المذاهب الداعية للإلحاد والعلمانية والرافضة للأديان السماوية، وأنها فشلت في كل مكان في العالم، وسوف يلقى هذا الاتجاه قبولًا لدى الجماهير والشعوب المختلفة، والتي تعاني من أفكار تلك النظريات، خاصة وأن جمهور وسائل

(1) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 306-307.

الاتصال في الدولة الإسلامية ليس هو فقط جمهور المسلمين ، بل البشر جميعًا في كل زمان ومكان، لأن الإسلام رسالة عامة لا يختص بها شعب دون شعب، بل هي رسالة إلى البشر بالإجماع ولإسعاد البشرية جميعًا(1).

إن القائمين بالاتصال في الدولة الإسلامية يرفضون نشر أو إذاعة المواد التي تزلزل العقيدة الإسلامية، أو تستهين بالعبادات والمعاملات الإسلامية، أو التقاليد والأخلاق، كما يبرز القائم بالاتصال المواد التي من شأنها أن تزكي هذه المعاني(2) وتوضح الأهداف التي من أجلها خلق الله الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] .

وللعقيدة المعروضة من خلال وسائل الاتصال ثمار كثيرة، تُعَدُّ العبودية ثمرة من ثمارها؛ لأن عبادة الله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها وبها أرسل الله كل الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب لقومهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل].

وجعل ذلك لازمًا لرسوله حتى الموت: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].

وبذلك وصف ملائكته وأنبيائه فقال: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقد وصف خلقه بالعبودية، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

وقال في وصف الملائكة بذلك: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء].

---

(1) عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى (بيروت عالم الكتب، 1985م) ص 84-85.

(2) محمود كرم سليمان، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، الطبعة الأولى (المنصورة دار الوفاء للطباعة، 1988م) ص 103.

ونعت الله رسوله بالعبودية في أكمل أحواله فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن].

والدين حقيقةُ كلِّ عبادة؛ بل إن من معاني العبادة التوحيد.

* * *

أود أن أشير في نهاية هذا المبحث الذي خصصته لمناقشة أهمية تقديم العقيدة الإسلامية من خلال وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية إلى: أن انضباط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بالأطر والضوابط العقدية ليس اختيارًا وإنما هو واجب تقوم به وسائل الاتصال؛ لأن الدولة الإسلامية يجب أن ينضبط الأداء فيها بالعقيدة الإسلامية، لاسيما وسائل الاتصال؛ لأهميتها في نقل الأفكار الصالحة ومحاربة الأفكار الطالحة، وتقف العقيدة على رأس الأفكار الصالحة.

والعقيدة الإسلامية هي التي من خلالها تقاس إسلامية الدولة، إذ إنها هي المرتكز الأول والمنطلق الأساسي.

* * *

المبحث الثاني
ضوابط شرعية

الشريعة الإسلامية هي المنهج العملي الذي يطبق في الدولة الإسلامية، وعليه فإن وسائل الاتصال لابد أن تنضبط بالأطر الشرعية وأحكام الفقه الإسلامي.

ويتعرض هذا المبحث لمعاني الشريعة الإسلامية، وأهميتها، وكيف تؤدي وسائل الاتصال وظائفها في إطار هذه الشريعة في شتى المجالات: الاجتماعية، والسياسية والتربوية والتعليمية والاقتصادية.

وفي البداية، يجدر بنا أن نوضح ماهية الشريعة التي نريدها ضابطًا وإطارًا لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية.

فالشرع في اللغة العربية: مصدر شرع بالتخفيف، والتشريع: مصدر شرّع بالتشديد، والشريعة في الأصل اللغوي: مورد الماء الذي يقصد للشرب باعتبار أن مورد الماء سبيل الحياة للأبدان، وكذلك الشأن في الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير، ففيها حياة نفوسهم وري عقولهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية:18].

ويقال: **شرعت الإبل**: وردت شريعة الماء. **وشرع له الأمر** بمعنى: سنه وبين طريقته. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى:13].

وسميت الشريعة شريعةً تشبيهًا لها بشريعة الماء، من حيث إنَّ من شرع فيها على الحقيقة المعروفة روي وتطهر.

والشريعة في الاصطلاح: ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة؛ لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، فشريعة الله هي المنهج المستقيم الذي يشفي علاتها، ويحيي نفوسها، وترتوي به عقولها، ولهذا كانت الغاية من تشريع الله استقامة الإنسان على الجادة؛ لينال عز الدنيا وسعادة الآخرة.

والشريعة بهذا المعنى خاصةٌ بما جاء من الله تعالى وبلغه الرسل للعباد، والله هو الشارع الأول، وأحكامه تسمى شرعًا، فلا يجوز إطلاق هذا على القوانين الوضعية؛ لأنَّها من صنع البشر، وقد جرى عرفُ كثير من الكتاب على تسميةِ القوانين الوضعية بالتشريع الوضعي وتسمية الوحي الإلهي بالتشريع السماوي، والحق أن الشرع أو الشريعة لا يجوز إطلاقها إلا على الطريقة الإلهية دون سواها من طرائق وأنظمة(1).

(1) مناع القطان، التشريع والفقه في الإسلام، الطبعة الثامنة (بيروت: مؤسسة الحياة، 1987م) ص15-16.

والشريعة الإسلامية في الاصطلاح الشرعي: هي الأحكام التي شرعها الله لعباده، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أو السنة -وهي قول رسول الله ﷺ، أو فعله، أو تقريره[1].

ومن هنا يمكن القول بأن الشريعة الإسلامية هي: كل ما جاء به محمد ﷺ من عند الله عز وجل، سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل البشري من رقِّ الوثنية والتقليد والخرافات، أو ما يتعلق بإصلاح الأخلاق لتحرير الناس من زيغ الأهواء، أو ما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفوضى والاستبداد. ومن أجل هذا كله جاءت الشريعة بنظام مدني ينظم علائق الناس بعضهم ببعض وعلائقهم بالسلطة الحاكمة. ويصون للجميع مصالحهم، ويحقق في الأرض عزتهم وسيادتهم[2].

وبهذا المعنى تكون الشريعة الإسلامية صمام أمان للمجتمع، والطريق الوحيد لعودة المسلمين إلى القوة والعزة، وبدون تطبيق الشريعة الإسلامية فلا أمل في أن يخرج المسلمون من واقعهم المرير والمؤسف والمذل الذي أوصلهم إلى هذا الدرك من الجهل والضعف والتخلف والرشوة والفساد والتمزق، وهذا مما يجعل أهمية خاصة لضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بالضوابط الشرعية[3].

والتشريع الذي ينبغي أن نضبط به وسائل الاتصال تشريع شامل، لا يشرع للفرد دون الأسرة، ولا للأسرة دون المجتمع، ولا للمجتمع منفردًا عن غيره من المجتمعات، كما أن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد في تعبده وصلته بربه، وهو أمر مشروح ومفسر في فقه العبادات، الأمر الذي لا نجد له نظيرًا في القوانين الوضعية.

ويشمل التشريع للفرد في سلوكه الخاص والعام، نعني بذلك (الحلال والحرام) أو (الحظر والإباحة)، وأحكام ما يتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقة ورضاعة وميراث وولاية على النفس والمال ونحوها، وهذا يشمل ما يسمى في عصرنا بالأحوال الشخصية.

ويشمل التشريع للمجتمع في علاقاته المدنية والتجارية، وما يتصل بتبادل الأموال

---

(1) محمد يوسف موسى، الفقه الإسلامي، ص7.

(2) عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها، 1984م، الطبعة الأولى (القاهرة: دار السلام) ص9.

(3) محمد الشويعر، تطبيق الشريعة طريق الأمن والعزة، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الصحوة، 1987م) ص6.

والمنافع، بعِوض أو بغير عِوض من البيوع والإجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفاية والضمان، وغيرها مما تضمنته في عصرنا القوانين المدنية والتجارية.

ويشمل التشريع ما يتصل بالجرائم وعقوبتها المقدرة شرعًا؛ كالحدود والقصاص، والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير، وهي أحكام ما يسمى بالتشريع الجنائي أو الجزائي وقوانين العقوبات.

ويشمل التشريع الإسلامي كل ما يتعلق بواجب الحكومة نحو الحكام، وتنظيم الصلة بين الطرفين -وهذا ما عنيت به السياسة الشرعية- والخراج والأحكام السلطانية في الفقه، وهو ما تضمنه في عصرنا الحاضر التشريع الدستوري أو الإداري أو المالي.

ويشمل التشريع الإسلامي ما ينظم العلاقات الدولية في السلم والحرب بين المسلمين وغيرهم، وهو ما عنيت به كتب السيرة أو الجهاد في فقهنا الإسلامي، وينظمه في عصرنا القانون الدولي.

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحي الحياة إلا وبرز التشريع الإسلامي آمرًا أو ناهيًا، مما يتيح الفرصة لوسائل الاتصال أن تجد مادة لضبط الأداء الاتصالي في الدولة الإسلامية، وحسبنا أنَّ أطْول آيةٍ نزلت في كتاب الله تعالى نزلت في تنظيم شأْنٍ من الشئون المدنية وكتابة الدين، كما يبدو شمول التشريع الإسلامي في أمر آخر، وهو النفاذ إلى أعماق المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها وما يتأثر بها والنظر إليها نظرة محيطة، مبنية على معرفة النفس الإنسانية، وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وأشواقها، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها، وربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية، بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها، فلا يكون بأي حال من الأحوال معْوَلًا لهدمها.

ومن عرف هذا جيدًا استطاع أن يفهم موقف التشريع الإسلامي وروعته من قضايا كثيرة، كالطلاق والربا والحدود والقصاص وغيرها. وقد أثبتت الدراسات فضل الإسلام في هذه النواحي، وأنه متفوق على كل تشريع سابق أو لاحق، وأن من عيب البشر - الذي هو من لوازم ذواتهم المحدودة - أنهم ينظرون إلى الأمور والأشياء من جانب واحد، غافلين عن جانب أو أكثر من جوانبها الأخرى، والحقيقة أنهم لا ذنب لهم في القصور ولا حيلة؛ لأن النظرة المحيطة الشاملة التي تستوعب الشيء من كل جوانبه وتعرف كل احتياجاته، وتدرك احتمالاتِه وتوقعاته لا يقدر عليها إلا رب البشر وخالق الكون[1]: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

(1) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، (الدار البيضاء: دار المعرفة، بدون تاريخ) ص121-123.

ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك] .

من الطرح المتقدم يتضح لنا أن التشريع الإسلامي هو ما يعبر عنه باسم "الشريعة الإسلامية"، وهو تشريع يغطي جميع أنشطة الحياة، حيثُ نجده ينقسم إلى أنظمةٍ كالنظام الاجتماعي والنظام السياسي والنظام التعليمي والثقافي والنظام الاقتصادي، تمثّل هذه النظم في مجموعها الإسلام وأنظمة المجتمع. ومن هنا تتاح الفرصة واسعة أمام أجهزة ووسائل الاتصال الجماهيري، لكي تخدم كافة أهداف وأغراض الدولة الإسلامية منضبطة بهذا التشريع الإسلامي، ومتقيدة بالشريعة الإسلامية.

ولابد لوسائل الاتصال الجماهيري أن تحقق من خلال أدائها أهداف الشريعة الإسلامية، ذلك لأن الشريعة الإسلامية تستهدف تحقيقَ مجموعةٍ من الأهداف التي تكون مجتمعًا فاضلًا. غير مفرطة في المثالية التي لا يمكن تحقيقها، كما حدث في النظريات الوضعية الزائفة، ولكنها تجمع بين السموّ الروحي والإشباع الإنساني في غير ما تطرف.

ونوجز فيما يلي أهم أهداف الشريعة الإسلامية التي ينبغي أن تنضبط بها وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية:

أولًا: تهذيب الإنسان بالعبادات لما لها من أثر في شفاء النفوس والتخلص من وسوسة الشيطان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

وقد جعل الله تعالى بقية العبادات من صوم وزكاة وحج تطهيرًا للنفس والمال وتقربًا إلى الله لنيل رضائه سبحانه.

ثانيًا: إقامة العدل في الجماعة؛ إذ ينشد الإسلام تحقيق المجتمع الصالح الذي تسوده علاقات التعاون والتكامل والحب، وهذا لن يتحقق إلا إذا شعر الجميع بالعدل، واختفى من بينهم الشعور بالظلم أو الاستغلال، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:90]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحُجُرات].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)(مسلم:1827).

ثالثًا: المصلحة: جميع أحكام الشريعة الإسلامية تستهدف تحقيق المصلحة، وقد حددها

الفقهاء، وأطلقوا عليها مقاصد الشريعة، وهي:

(أ) حفظ الدين (ب) حفظ العقل (ج) حفظ العرض (د)حفظ النفس (هـ) حفظ المال.

فجميع الشرائع السماوية لم تختلف على هذه الأهداف الخمسة، وقد رتبت الشريعة الإسلامية هذه المقاصد الخمسة حسب الأهمية.

ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد أن تحقق هذه الأهداف، وتنضبط بما يحققها، فلا تعرض أو تنشر مثلًا ما يتعارض مع حفظ الدين كهدف مهم من أهداف الشريعة الإسلامية؛ بل تعمل على نشر الدين وتعميق منهجه وسط المسلمين، وتدعو غير المسلمين للدخول فيه، وتبتعد عن كل ما يقلل من العقل أو يؤدي إلى فقدانه؛ لأن العقل هو مناط التكليف، وهكذا في سائر مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة، ولابد أن تعمل وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية على تحقيق هذه المصالح التي عن طريقها يصلح المجتمع(1).

لقد جاءت الشريعة الإسلامية في مجال المجتمع بنظام اجتماعي متوازن يؤثر التكافل بين الفرد والجماعة، ولا يحابي الفرد على حساب الجماعة ولا الجماعة على حساب الفرد، وهو نظام وسط، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة].

والأمة الوسط تحرص على إطلاق جميع الطاقات الفردية والعامة من غير إفراط ولا تفريط، لإيجاد التوازن في المجتمع نتيجة لتوزيع التبعات على الجميع بالقسطاس المستقيم مصداقًا لقوله ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)(البخاري:853).

وليس في نظام الإسلام الاجتماعي غلو ولا تقصير، فلا يتشدد في دين الله حتى يحطم نشاطه الفردي وميوله ونوازعه، فتحرم الجماعة من أن تنتفع بطاقته الصالحة، والمقصر يتجاهل تعاليم الله فيرخي لنفسه عنان الشهوات، ويذهب مع غرائزه إلى أبعد مدى حتى يحطم المجتمع مثلما يحطم نفسه أيضًا. ودين الله هو دين الفطرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:30] ، فلا هو غلو الاجتماعيين ولا تقصير الفرديين، بل تكافل بين الفرد

(1) نبيل محمد توفيق السمالوطي، المنهاج الإسلامي في دراسة المجتمع، الطبعة الثانية (جدة: دار الشروق، 1985م) ص16-18.

والجماعة يوجب على كل منهما تبعات ويلقي عليه مسئوليات[1].

تقوم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بتوضيح أن الإسلام في نظامه الاجتماعي قد قرر العدل والمساواة والتعاون، والتواصي بالصبر، وقرر في ذلك كله مسئولية الجماعة نحو الفرد ومسئولية الفرد نحو الجماعة، وقد كان له في ذلك الجانب كثير من العناية والاهتمام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرات]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

هذه المعاني إذا تمت إشاعتها في وسط المجتمع سوف يكون الناتج مجتمعًا متماسكًا، وتكون وسائل الاتصال قد أدت دورها الاجتماعي[2].

كذلك من القضايا الاجتماعية التي ينبغي أن تأخذ حظًّا وافرًا في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية قضية المرأة، وأن توضح وسائل الاتصال كيف أن الإسلام رفع من شأن المرأة وأزال عنها المظالم التي لحقت بها في المجتمعات الجاهلية الأولى، فوضع لها نظامًا عامًّا وشاملًا يحمي المجتمع من الفوضى والاضطراب والضياع.

ونورد هنا ما قام به الإسلام تجاه المرأة:

أولًا: قرَّر الإسلام أنَّ المرأة إنسان، وهي شقيقة الرجل ووجودها يساعد على بقاء النوع الإنساني وتربية الأجيال الصالحة، يقول عمر بن الخطاب ا : (والله ما كنا نعد للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم)(مسلم: 1479)، وقد قرر القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرات].

ثانيًا: قرر الإسلام أنَّ على النساء ما على الرجال من الواجبات والفرائض، فلا فرق بين الذكر والأنثى، إلا ما كان من بعض الأحكام الخاصة بها في أيام حيضها أو نفاسها، قال

(1) صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها (بيروت : دار العلم للملايين ، 1976م) ص 435 .
(2) محمود شلتوت ، من توجيهات الإسلام ، الطبعة السابعة (بيروت ، دار الشروق ، 1983م) ص89 .

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

ثالثًا: قرر الإسلام أن مسئولية المرأة مستقلة عن مسئولية الرجل؛ فلا ينفع صلاح الرجل زوجته إذا فسدت، ولا ينفع صلاح المرأة زوجها إذا فسد، فلكل واحد منهما مسئوليته الخاصة عن عمله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم].

ومن أجل هذا فإنّ الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في الجزاء والثواب على الأعمال في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

رابعًا: إشراك الإسلام المرأة في النشاط الاجتماعي لبناء المجتمع، وذلك فيما يناسبها من أعمال، بعيدا عن الاختلاط والتبرج، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

خامسًا: أباح الإسلام للمرأة المسلمة أن تجير الأعداء، فها هي أم هانئ تجير يوم فتح مكة رجلين من أحمائها وتخبر رسول الله ﷺ صنيعها.

سادسًا: قرّر الإسلام للمرأة حقَّ التعليم، وقد ثبت أنّ الشِّفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية كان رسول الله ﷺ يأتيها يقيل عندها، فطلب منها أن تُعلِمَ حفصة بنت عمر أم المؤمنين رقية النمل، كما علمتها الكتابة، (والنمل جروح تخرج من الجنب).

سابعًا: منح الإسلام المرأة حق التملك، بخلاف ما كانت عليه في المجتمع العربي الجاهلي، وسائر المجتمعات المزامنة، وجعل لها حق التصرف المستقل في الأشياء التي تملكها، وجعل لها حقّ الولاية على مالها وإبرام العقود متى بلغت سن الرشد.

ثامنًا: جعل الإسلام للمرأة حق الميراث، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ

﴿بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء].

وجعل صداقها حقًّا ليس لأحد أن يشاركها أو يأخذه منها، كما كانت العادة في المجتمعات السابقة.

قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء:4]، فلا يحق لأحد من أوليائها أن يأخذ منه شيئًا ولا يهبه لزوجها(1).

فعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تبرز أن الإسلام دين اجتماعي، وهو يسعى لإنشاء المجتمع الصالح سعيه لتكوين الفرد الصالح، بل يرى أن صلاح المجتمع لازم لصلاح الفرد، ولا يتصور الإسلام الفرد المسلم إنسانًا منعزلًا في خلوة، أو راهبًا في صومعة، بل يتصوره دائمًا في جماعة حتى في عبادته لربه فقد دعاه إلى أداء الصلاة في صورة جماعية، ومن هنا نشأت المساجد في الإسلام وتأكدت أهميتها، ولو تخلف مسلم عن الجماعة وصلى وحده فإنّ روح الجماعة تظل متمثلة في ضميره جارية على لسانه حين يناجي ربه قارئًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة].

والزكاة والحج كذلك عبادتان اجتماعيتان، والقرآن يخاطب المكلفين بصيغة الجماعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:104] ليشعرهم بأنهم متضامنون في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي وأداء التكاليف في جماعة.

والشريعة الإسلامية التي نريد لها أن تكون الإطار الذي يضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية، نجدها بجانب النظام الاجتماعي تغطي ما يسمى بنظام الإسلام السياسي، ووسائل الاتصال في تقديمها للجوانب السياسية لابد أن تضع نصب عينيها ما يمكن أن تقدم من نواحٍ سياسية منضبطة بالشريعة الإسلامية. ومعروف أن الشريعة الإسلامية تشمل النظام السياسي في الإسلام، وهي سياسة توجه المسلمين في شئون الحكم.

والإسلام سياسة وتدبير لشئون المجتمع الإسلامي، وهو تحديد للأصول العامة التي يجب أن يكون منهاج الأمة الإسلامية قائمًا عليها في مجالات العلاقات والروابط التي تشد المؤمنين بعضهم إلى بعض، والتي تقيهم سوء أنفسهم واعتداء غيرهم عليهم.

وعلى وسائل الاتصال أيضًا أن تخدم مفهوم الشرع في النظام الإسلامي السياسي،

---

(1) محمد الأمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى (الأردن: مكتب المنار، 1983م) ص278-282.

وتوضح أن الحكم في نظر الإسلام أمانة في أعناق الحكام من رئيس الدولة إلى حامل أدنى رتبة بين العاملين في أجهزة الدولة المختلفة، وكل واحد من هؤلاء مسئول بمقدار حظه من السلطة والنفوذ، وللأمانة في الإسلام مفهوم خاص فوق ما يتصوره الناس، ففي التنزيل المجيد: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

إن أمانة الحكم أثقلُ الأمانات كلِّها؛ لأنها تتعلق بحقوق العباد، ولهذا كان أكبر واجب ملقى على عاتق رئيس الدولة تطبيقُ أحكام الدين ورعاية مصالح الأمة، وتأكيدًا لهذا الأمر الإلهي يطالعنا هذا النص القرآني آمرًا كل حامل أمانة أنى كان موقعه في الحياة، حاكمًا كان أو محكومًا رئيسًا أو مرءوسًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:58].

وتكشف السنة المطهرة عما في نصوصها من تنبيه المسلمين إلى عظيم أمانة الحكم، ومسئولية من يقوم عليها حتى يكونوا على بينة من الأمر، فقد روى عبد الرحمن بن سَمُرَة ا أن رسول الله ﷺ قال: (يا عبدالرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فكفر عن يمينك، وائت الذي هو خير) (مسلم:1652)، وفي حديثٍ آخر رُوِيَ عن أبي ذر ا أنَّه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)(مسلم: 1852). **قال النووي**: (هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، أما الخزي والندامة فهو حقّ من لم يكن أهلًا لها أو كان أهلًا لها ولم يعدل فيها، يخزيه الله ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلًا للولاية وعدل فيها، فله فضل تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث: (سبعة يظلهم الله)[1].

وتقوم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بتوضيح رسالة الدولة الإسلامية، وهي تتمثل في أن الدولة بكل ما تتمتع به من حقوق وسلطة، لم تكن إلا لتحقيق غاية وأداء رسالة، وليس لها في ذلك بين دول الأرض من نظير، ولكي نكون على بينة من مجمل تلك الرسالة يتعين أن نقف عند بعض النصوص.

---

(1) سعدي أبوحبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م) ص ص105-109.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج].

وفي السنة المطهرة نقرأ صدر الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن.. وقد جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان من الله ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:1] عهد من محمد النبي رسول الله إلى عمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل].

وأمره أن يأخذ بالحق، وأن يبشر بالخير ويأمرهم به، ويعلم الناس أمر دينهم ويفقههم فيه، ويقرئهم القرآن ويعلمهم ألا يمسوه إلا وهم على طهارة، ويخبرهم بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتد عليهم في الظلم، فإن الله كرَّه الظلم ونهى عنه؛ قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود] ، ويبشر الناس بالجنة وما فيها، وكيفية العمل لها، وحذرهم من النار وما يقرب إليها.

من هذا المعين النبوي نهل الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، وعلموا أن لدولة الإسلام رسالة واضحة المعالم، لابد من القيام بها فكان لهم ما أرادوا.

مما تقدم يظهر لنا أن الدولة الإسلامية لم تكن إلا دولة رسالة ذات أهداف(1).

فما دامت الدولة الإسلامية تقوم على أصول، ونظم هي جزء من منهج الإسلام السياسي، فعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تبرز هذه الأصول، **وقد أوجزها صاحب كتاب أصول الفكر السياسي الإسلامي فيما يلي:**

1- يقوم مفهوم الأمة في الإسلام على أساس عقد (أيديولوجي) لا على أساس أرضي جغرافي أو تاريخي، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران] .

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

(1) سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مرجع سابق ص124-12.

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة].

وقد ورد ما يشير إلى إقامة كيان سياسي نظامي لأمة الإسلام في القرآن والسنة، عُبِّرَ عن المسئول عنه بالإمام أو ولي الأمر، ومن هنا قامت أمة الإسلام ودولته على أساس إنساني عالمي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحُجرات:13] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

ويرفض الإسلام لأمته ودولته أن تقوما على عصبية، ففي الحديث: (ليس منا من قاتل على عصبية)(أبو داود:332)، والإسلام يفتح السبيل لاستعراب أي مسلم، فمن تكلم لغة القرآن فهو عربي، وهذا لا ينفي مزية العرب التاريخية في عصر النبوة فهم الذين نزل القرآن على محمد ﷺ بلغتهم، وهو بين ظهرانيهم وهم الذين حفظوا رسالة الإسلام فيما بينهم، وتمثلوا هديها في سلوكهم وأخلاقهم، وأنفقوا مما رزقهم الله من عقل وقوة بدن وجهد وعزيمة ومال في حضرة هذا الدين.

وقدم الإسلام للعرب شرف الدهر وعز الأبد ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء] ، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحُجرات] .

فينبغي أن يكون العرب في كل عصر أقدر على فهم القرآن والسنة إذ جاء القرآن بلغتهم، وعليه فإنهم أقدر على إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، وهي مسئولية عظمى وشرف كبير للعرب إذا قدروا ذلك حق قدره: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزُّخرُف] .

2- الدولة الإسلامية تقوم على مبدأ سيادة القانون المكتوب المنشور الملزم للجميع، وعلى حكومتها أن تطيع أحكام السنة وتوضحها بكل سبيل، وأن توجه الأسرة والمدرسة ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن ترشد النفوس والعقول وفق دعوة الإسلام وهداية الدين، وأن تشيع في المجتمع التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام:19]، يقول ابن كثير في تفسير الآية والحديث: بلغوا عن الله؛ فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر

الله[1]. ويقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف].

والقرآن والسنة هما القانون الأعلى الذي يحكم ويضبط سلوك أولي الأمر وعامة المسلمين على السواء، والذي يحكم أيضا أي حكم اجتهادي مستحدث؛ إذ ينبغي ألا يتعارض نص، وأن يحقق مقاصد الشريعة ومبادئها العامة، فكل عمل ليس من أمر الله ورسوله فهو ردٌّ كما جاء في الحديث، والناس سواء أمام شرع الله والمسئولية القانونية فردية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:164]، ولا عقوبة إلاّ بنص، وهو أمر مقرر في أُصول الإسلام: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

والإسلام يربي أمة الإسلام ودولته على التربية الأخلاقية أساسًا وشريعة على قدر ما يلزم، ولا يشدّد ويضع القوانين لكل تصرف وسلوك، وربما يكون التشريع على قدر ما يلزم لمواجهة ضرورات الواقع التي لا يمكن أن تحل إلا بالقانون.

3- تلتزم دولة الإسلام التي تقوم على أساس شريعته أن تحقق العدالة بأوسع معانيها، وفي شتى مجالاتها؛ السياسية، والإدارية، والقضائية، والاجتماعية، والدولية، ويتضمن ذلك حماية الحقوق والحريات العامة والمساواة في صورها المتعددة، كما تقوم ممارسة الحكم على الشورى التي جاءت بها الآيات في سورة آل عمران وسورة الشورى، وذلك بمعانيها السياسية والفنية على حد سواء، كما ينبغي أن يُكْفَلَ بالصورة الملائمة المنظمة الدائمة، اتصال الحاكم بالمحكومين، والتعرف على رغباتهم وآرائهم والاستماع إلى شكواهم، والاستجابة لما يصح منها وإطلاعهم على ما يجد من أحداث مهمة وما يصدر من أحكام اجتهادية متجددة، والتحقق من رضا الناس وحسن أحوالهم وتوجيههم بالكلمة والقدوة إلى الحق والخير والمعروف، وقد كان المسجد قديمًا أداةً لتحقيق هذا كله، والآن وسائل الاتصال كلها يجب أن تكون أدوات لنقل هذا كله كما يفعل المسجد.

وتستهدف الدولة الإسلامية في سياستها الاقتصادية عمارة الأرض، وتحقيق سبل العيش الكريم لرعاياها مع تحقيق تكافؤ الفرص والعدالة في توزيع انفاق الدولة وخدماتها، استرشادًا بقوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:7].

4- عدالة الإسلام الشاملة تحكم تعاملها مع غير المسلمين في داخل الدولة الإسلامية وفي العالم كله، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ

(1) تفسير ابن كثير.

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة].

والإسلام لم يستعمل القوة ضد الأديان، بل ضد العدوان، وحتى لو صدر من المسلمين أنفسهم إلا إذا كان هناك بغي.

5- تلتزم دولة الإسلام التوعية برسالته بكل وسائل الاتصال الممكنة، وكذلك على الدولة الإسلامية نشر هداية دين الإسلام بسلوكها العملي المستقيم في سياستها الداخلية وفي المجال الدولي، وذلك لحفظ العهد ومناصرة الحق ومقاومة العدوان والتعاون مع الجميع على الخير والنفع، وينبغي أن يكون سلوك الدولة الإسلامية على أرضها في الداخل، وبين دول العالم في الخارج قائمًا على الأمانة والعدالة وحسن المعاملة، محققًا الأمن والاستقرار، متوقيًا القهر والإذلال والإفساد وإهلاك الحرث والنسل والعزة بالإثم، وإثارة الفزع والرعب بالاضطراب مما يكون إساءة للإسلام ومدعاة للصد عن سبيل الله[1].

ويقع على عاتق وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية التأصيل للنظام الإسلامي السياسي، وأن تضبط الأداء الاتصالي في وسائله المختلفة بما جاء في الفكر السياسي الإسلامي، وتوضح أن **نظام الإسلام السياسي يقوم على قواعد مهمة، هي:**

1- القاعدة الأولى من قواعده تُقرِّر أن: على المسلم أنّ يعتقد أن الحاكمية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد، ويجب عليه أن يتحاكم إلى شرع الله، ويحرم عليه أن يتحاكم إلى غيره، بل عليه أن يرفض التحاكم إلى القوانين الوضعية، كما تُقَرِّر هذه القاعدة أن الذي يرفض حكم الله كافر، والذي يدعي الحاكمية برغبة وإرادة ورضى منه كافر.

2- والقاعدة الثانية: قاعدة العدل والمساواة: إذ إن نظرة الإسلام إلى جميع الناس أنهم متساوون أمام القانون، وأنَّه لا فرق بين غني ولا فقير، ولا وزير ولا غفير، وأنه فرض على الأمة الإسلامية أن تقيم العدل، وعلى جميع المستويات في الأسرة والمجتمع والدولة.

والإسلام حين أوجب العدل بين الناس جعل لتكريم الناس معيارًا لا يتخلف هو: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ [الحُجُرات:13]، وقرر أنه إذا ساد هذا المعيار في حياة الناس سعدوا، وإلا شقوا. وقد فتح الإسلام الباب على مصراعيه لكل مظلوم ليرفع مظلمته إلى من ينصفه، ويأخذ له بحقه، وألقى كل وسيلة من شأنها أن تعيق الناس عن الوصول إلى حقوقهم أو تمنعهم منها. وقد قامت التطبيقات العملية في الدولة الإسلامية بما يؤكد إمكانية ذلك.

---

(1) انظر: محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م) ص62-68.

3- أما القاعدة الثالثة فهي الطاعة: فالإسلام يعتبر الطاعة من الرعية لولاة الأمر فرضًا من الفروض، وقاعدة من قواعد الحكم في الإسلام لا يستقيم إلا بها، ولكن وجوب الطاعة للأمراء ليس مطلقًا، بل هو مقيد بإقامة العدل بين الناس، وألا يأمروا رعاياهم بمعصية.

4- والقاعدة الرابعة هي قاعدة الشورى: وهي ذات الأهمية الكبرى في النظام السياسي الإسلامي وفي أي نظام أو أي جماعة من الجماعات، وترتكز عليها كل دولة راقية تنشد لرعاياها الأمن والاستقرار والفلاح والنجاح؛ لأنها الطريق السليم الذي يقود إلى اختيار الصالحين من الولاة، والوصول إلى الحلول المناسبة لتحقيق مصالح الأفراد والجماعات، ولأن الإسلام دين رباني نجده قد اهتم كثيرًا بالشورى، حتى أن الحق سبحانه سمّى سورةً من سُوَرِ كتابه بالشورى، وتحدث في هذه السورة عن صفات المؤمنين، وجعل من بينها أن حياتهم تقوم على الشورى، بل أمرهم شورى بينهم[1].

كذلك الشريعة الإسلامية نجدها تغطي نظام الإسلام التربوي والتعليمي، وهو نظام مهم في توجيه المجتمع، لابد لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية من الانضباط به كواحد من الأطر التي توجه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية، وسوف يُلْقِي الباحث نظرة على هذا النظام المهم؛ لأن التربية من وسائل بناء الحضارة واقعيا، فعلى أسسها الفكرية الراسخة تكون الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة واستمالة الأنفس بالترغيب والترهيب مما تكره من شرّ أو ضُرّ أو أذىً، وهذه واحدة من الأمور التي تعتمد على وسائل الاقناع بالمنطق والحجج والبراهين المثبتة للحقائق، وتكون الحكمة باتخاذ الأساليب الملائمة للحالة الفكرية والنفسية التي عليها المستهدفون بالتربية، وللمربين في هذا المجال أصول وقواعد، استخلصوها من تجارب الحياة ومن الدراسات النفسية والنظرية والتطبيقية، ونلاحظ أن الإسلام يدعو إليها بشكل عام، ويعرض طائفة من جزئياتها، كما أنه يقدم لنا نماذج دقيقة قامت بها النخبة الممتازة من الدعاة إلى الله؛ وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ونماذج أخرى قام بها بعض المربين الذين تخرجوا في مدارس الدعوة التي أسسها الرسل؛ كالنموذج الذي قصه لنا القرآن عن الحكيم لقمان في موعظته لابنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

فمن حكمة لقمان في موعظته لابنه أنه حينما نهاه عن الشرك بالله قرن له ذلك بالدليل المقنع

(1) محمد عبد القادر أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام (بيروت: دار القرآن، 1984م) ص66 وما بعدها.

المؤكد فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾، **من بدهيات القول**: أن الظلم قبيح وعاقبته وخيمة، ومن أدرك هذه الحقيقة اكتسب قناعة كافية تجعله يخشى خشية كبيرة من الشرك بالله.

أما الدعوة بالموعظة الحسنة فهي التربية، حيث اعتمدوا على وسائل التأثير الخطابي المقرونة بأساليب البيان ذات الخصائص التي تمكن المربي من القبض على نواصي الأنفس، وتحريك العواطف والانفعالات الإنسانية وتوجيهها إلى طريق الحق والخير والجمال(1).

ونسبة لأن النظام التربوي الإسلامي له خصائص تميزه عن غيره من الأنظمة الأخرى كان لابد لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تهتم بهذه الخصائص، وأهم هذه الخصائص تتمثل في تكيف النظام التعليمي بالأيديولوجية التي تدين بها الأمة، ثم ارتباط هذا النظام بنمط أخلاقي معين؛ فالغرض الأساسي من التعليم في الإسلام كما هو معلوم ينبغي أن يكون موجهًا إلى إيجاد الأخلاق الفاضلة والإيمان بهذا الدين ومنهجه وأهدافه في الحياة، ليكون نتاج هذا التعليم شبابًا مسلمًا مسلحًا بالقيم الإسلامية والمعارف الأساسية، وتوجيه الشباب المسلم إلى هذه الغاية لا يتم بمجرد دراستهم للمواد الدينية كالفقه والحديث والتوحيد والأصول، بل لابد عن طريق تغلغل روح الإسلام إلى درجة التشبع في كل المواد كالجغرافيا والعلوم والاقتصاد والهندسة والطب، وغيرها من المواد التي عرفتها البشرية.

ووسائل الاتصال لابد أن تهتم بالطفل تبعًا لخصائص التربية الإسلامية التي تعتني بالطفل عناية خاصة ككائن حي له اعتباره المستقل وحقه في النمو نموًّا طبيعيًّا، وتمتعه بمواهبه التي منحها الله له؛ إذ إن التربية الإسلامية لا تعتبر الطفل وافدًا مزعجًا لوالديه يحيطاه بقيود وأغلال تحد من مواهبه، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في رحمته بأحفاده وأبناء المسلمين ؛ إذ كان في قمة الرفق والرأفة بهم. وتستفيد وسائل الاتصال في أدائها مما راعته خصائص نظام الإسلام التربوي في مراعاة الفروق التي ينادي بها علماء التربية الحديثة.

كما أن من خصائص النظام التربوي في الإسلام: أن تربيته إيجابية تقوم على الأخلاق، وتعمل لسيادتها وتحارب المحسوبية ونفوذ أصحاب السلطات المتسلطين، كما تحارب الطمع والأثرة والأنانية، وتقف في وجه الفساد والرياء والرشوة، وتربي الأفراد على أساس من النزاهة والعفة والمودة والرحمة، والإيمان الراسخ بأن هذا الكون لم يخلق صدفة ولا يسير

(1) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، الطبعة الأولى، ص251-254 .

اعتباطًا، وأن وجود الإنسان فيه مرتبط بخطة الله الكونية التي يسير الإنسان داخلها وفق قواعد ونواميس محددة طبيعية، ومهمته التلاؤم معها ليصل إلى غاية وجوده في العمل وتحقيق سيادة كلمة الله، وبناء مجتمع الإسلام مجتمع السلام والألفة والمودة والإخاء والرفاهية والطمأنينة. وتقوم وسائل الاتصال بتوضيح أن هذا النظام يخرج نفوسًا صادقة مؤمنة بالله متفائلة، لا مجال فيها للإلحاد والشك والتشاؤم، وأنها تنتج أمة محصنة ضد الأنظمة المستترة تحت الشعارات البراقة، والتي تسببت في مآسي كثير من الأمم وآلامها، ولازالت تجترها وتدفع ثمنها من حياتها وقيمها ومثلها ودينها(1)، بجانب النظام الاجتماعي الإسلامي والنظام السياسي الإسلامي والنظام التربوي والتعليمي الإسلامي، وهي أنظمة يجب أن تضبط أداء وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية، وهناك النظام الاقتصادي الإسلامي، وكلها أنظمة تمثل الشريعة الإسلامية التي يراد لها أن تكون واحدة من الأطر التي تضبط الأداء الاتصالي في الدولة الإسلامية؛ فالنظام الاقتصادي الإسلامي يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وفقًا للتصور الإسلامي عن الألوهية، والكون والحياة والإنسان، فليست العدالة الاجتماعية إلا فرعًا من ذلك الأصل الكبير الذي ترجع إليه كل تعاليم الإسلام، وتقوم العدالة على أسس نذكر منها:

1- التحرر الوجداني المطلق: فلن تتحقق العدالة الاجتماعية كاملة، ولن يضمن لها التنفيذ والبقاء ما لم تستند إلى شعور نفسي باستحقاق الفرد وبحاجة الجماعة إليها وبعقيدة تؤدي إلى طاعة الله وإلى واقع إنساني أسمى، وتستند كذلك إلى واقع مادي يهيئ للفرد أن يتمسك بها ويتحمل تكاليفها ويدافع عنها.

لقد بدأ الإسلام أولًا بتحرر الوجدان من شعور العبادة لغير الله، وامتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق أو الخوف على المكانة، ذلك الشعور الذي قد يدعوه إلى قبول الذل وإلى التنازل عن كثير من كرامته وكثير من حقوقه، كذلك حرر الإسلام وجدان معتنقيه من التأثر بعبودية القيم الاجتماعية قيم الحياة والحسب والنسب: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجُرات:13].

فالقيمة الصحيحة في الإسلام هي التقوى والإيمان والعمل الصالح، ومع هذا فإن

(1) عباس محجوب، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، الطبعة الأولى (دمشق: دار ابن كثير، 1987م) ص95-98.

الإسلام لا يُنْقِصُ من قيمة المال ولا من قيمة الأبناء، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:46] ، فهما زينة ولكنهما ليس قيمة من قيمها التي ترفع وتخفض ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

كما عمل الإسلام على تحرير الوجدان البشري من ذلك الاستجداء والسؤال لحاجته، فيشرع شرائع لمنع الحاجة ولإزالتها حين توجد، فيجعل للفرد حقه في الكفاية مفروضًا على الدولة وعلى القادرين في الأمة، فرضًا يعاقب عليه في الآخرة ويقاتل عليه في الدنيا، ثم ينهى عن الاستجداء؛ فها هو النبي ﷺ يقول: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه) (البخاري: 1968). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات].

2- المساواة الإنسانية:

وهي واحدة من أسس نظام الإسلام الاقتصادي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

فالناس كلهم من نفس واحدة، وزوجها منها، ومنها نشأ الرجال والنساء، فهم من أصل واحد، وهم إخوة في النسب، وهم متساوون في الأصل والنشاط: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:13].

كما كفل الإسلام للمرأة مساواة تامة من حيث الجنس والحقوق الإنسانية، ولم يقرر إلا في بعض الملابسات المتعلقة بالاستعداد والدربة والتبعة مما لا يؤثر على حقيقة الوضع الإنساني للجنسين، وقد قررت الشريعة الإسلامية كرامة الجنس البشري التي لا يجوز أن تستذل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء].

3- التكافل الاجتماعي:

إن الإسلام يمنح الحرية الفردية في أجمل صورها والمساواة الإنسانية في أدق معانيها، ولكنه لا يتركها فوضى، فللمجتمع حسابه، وللإنسانية اعتبارها، وللأهداف العليا للدين قيمتها، لذلك يقرر مبدأ التبعية الفردية في مقابل الحرية الفردية، ويقرر إلى جانب التبعية الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليفها، وهذا يدعى التكافل الاجتماعي في النظام

الاقتصادي الإسلامي[1].

والنظام الاقتصادي الإسلامي الذي ينبغي أن يضبط أداء وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية إلى جانب هدفه الرئيسي في العدالة الاجتماعية، له خصائص تميزه عن الاقتصاد الوضعي، **وفيما يلي أبرز خصائص نظام الاقتصاد الإسلامي:**

أولًا: نظام الاقتصاد الإسلامي جزء من نظام الإسلام الشامل:

إذا كان الاقتصاد الوضعي بسبب ظروف نشأته قد انفصل تمامًا عن الدين؛ فإنّ أهم ما يميز الاقتصاد الإسلامي هو ارتباطه التام بدين الإسلام عقيدة وشريعة، وبناء على ذلك فإنه لا ينبغي لنا أن ندرس نظام الاقتصاد في الإسلام مستقلًّا عن العقيدة والشريعة؛ لأن النظام الاقتصادي الإسلامي جزء من الشريعة، وهو كذلك مرتبط بالعقيدة ارتباطًا أساسيًّا، وارتباطه بالعقيدة يبدو على سبيل المثال في نظر الإسلام إلى الكون باعتباره مسخرًا للإنسان ولخدمته، ويبدو كذلك في قضية الحلال والحرام التي تشغل المسلم عند إقدامه على أي معاملة من المعاملات، كما يبدو في عنصر الرقابة الذي يحسه المسلم من عالم الغيب.

إن ارتباط نظام الاقتصاد في الإسلام بعقيدة الإسلام وبشريعته هو الذي يجعل النشاط الاقتصادي في الإسلام -على خلاف النشاط الاقتصادي في النظم الوضعية- له طابع تعبدي وهدف سامي، والرقابة عليه تكون رقابة ذاتية. ويوضح لنا أن النشاط الاقتصادي في الإسلام له طابع تعبدي أدلة كثيرة؛ إذ إن كل عمل يقوم به المسلم يتحول إلى عبادة يثاب عليها المسلم إذا قصد بعمله هذا وجه الله عز وجل، وابتغى مرضاته وانصرفت نيته إلى ذلك.

ونظام الاقتصاد في الإسلام له هدف سام، فإذا كان يسعى إلى النفع المادي فهو لا يسعى إليه وحده، ولا يستهدفه كغاية في حد ذاته، وإنما يعتبره وسيلة لغايةٍ أكبر، وهدفًا أكبر وأسمى، هو إعمار الأرض وتهيئتها للعيش الإنساني امتثالًا لأمر الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة] ، وتحقيقًا لخلافته في أرضه، إيمانًا بأن الإنسان سوف يقف بين يدي خالقه ليسأل عن هذه الخلافة وعما قدم لها، والرقابة في النظام الإسلامي رقابة ذاتية؛ فإنه يوجد جوار ربه وجوار الرقابة الشرعية التي تمارسها السلطة العامة رقابة أشد وأكثر فاعلية هي رقابة الضمير القائمة على الإيمان بالله والحساب في اليوم الآخر، هذا الضمير نتاج التربية الإسلامية والمنهاج الإسلامي، ورقابة الله هي أكبر ضمان لسلامة السلوك الاجتماعي وعدم انحراف

(1) د. أحمد نوفل، في الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى (عمان: دار عمار، 1984م) ص134-136.

النشاط الاقتصادي.

ثانيًا: نظام الاقتصاد في الإسلام يحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة:

الإسلام يعترف بكل من مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، طالما لم يكن ثمة تعارض بينهما، أو كان التوفيق بينهما ممكنًا؛ إذ إن الإسلام في مجال الملكية يعترف بالملكية، ويعترف كذلك في الوقت نفسه بالملكية الجماعية، فلا تلغى أي منهما في سبيل الأخرى.

وفي مجال الحرية، فإنه يعترف للفرد بحريته، ولكنه لا يغالي في ذلك إلى حد إطلاقها بغير قيود مما يضر الجماعة، والنظام الاقتصادي في الإسلام قدَّم دعوة الإسلام، وقد بدأت قواعده ترسخ مع بدء نزول القرآن في مكة المكرمة، قبل أن يعرف العالم شيئًا اسمه علم الاقتصاد، هذا العلم الذي لم يظهر في الغرب بنظرياته إلا منذ قرنين من الزمان(1).

ففي مكة نزلت سورة المطففين ومطلعها: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطفِّفين]، ومن قبل هذه السورة نزلت سورة الروم، وجاء فيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ [الروم].

فالربا يضعف الأموال ولا يزيدها إلا زيادة غير حقيقية، والزكاة تزيد المال زيادة ظاهرة، وحقيقية، وعندما هاجر رسول الله ﷺ توالى التشريع الإسلامي للمجتمع الجديد ينظم كل شيءٍ في حياة المسلم الاجتماعية والاقتصادية والتربوية(2).

وتستطيع وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية من خلال فهم أهداف نظام الاقتصاد في الإسلام وفهم خصائصه أن تُقَدمَ برامج عن طريق كل الوسائل، منضبطة بهذه الأهداف والخصائص. وإذا انضبطت وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية في أدائها وفقًا لهذه النظم الاجتماعية والسياسية والتربوية التعليمية والاقتصادية يكون قد تم ضبطها بالأطر الشرعية، إذ إن الشريعة الإسلامية هي مجموعة هذه النظم.

* * *

في هذا المبحث إشارات مهمة في مجال النظم الإسلامية يمكن أن تستهدي بها وسائل

(1) أحمد العسال، النظام الاقتصادي في الإسلام، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة وهبة، 1992م) ص18-31.

(2) عبد السميع المصري، معركة الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة وهبة، 1992م) ص9-10.

الاتصال في أدائها، بأنواعها المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية، وإذا تم ضبط هذه الوسائل لتؤدي دورها وفقًا لأطر الشريعة فإنها ستختلف اختلافًا واضحًا عن وسائل الاتصال في غير الدولة الإسلامية، وتصير متميزة بسبب الضبط بهذه الأطر الشرعية، بالإضافة إلى الأطر العقدية التي تم مناقشتها في المبحث الأول من هذا الفصل، والأطر الأخلاقية التي سيتم مناقشتها في المبحث الثالث. وبهذا تكون الأطر التي تضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية ثلاثة.

المبحث الثالث
ضوابط أخلاقية

تعد الأخلاق هي الناتج والمردود الحقيقي للعقيدة والشريعة، وهي التي تميز السلوك الإنساني، ومن هنا تبرز أهميتها في ضبط مسار وسائل الاتصال، لذا يتناول هذا المبحث أهمية الأخلاق وكيفية استخدامها كمعيار لضبط حركة وسائل الاتصال في الدولة، وما يعود على المجتمع من مصلحة من خلال ذلك.

ففي هذا المبحث يتم توضيح: ما هي الأخلاق في ضوء الإسلام؟ وما هي النصوص التي وردت فيها؟ وأهمية الأخلاق في توجيه المجتمع وصياغته وضبطه.

الخلق في اللغة العربية: هو السجية والطبع.

يقول الإمام الغزالي: إن الخلق هو عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال في سهولة ويسر ومن غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا. **ويقول ابن الأثير**: الخلق صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصور الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصور الظاهرة، وهناك اختلاف بين الخلق والتخلق؛ فالأخلاق سجايا وطبائع، ولكن التخلق تكلف من الإنسان يحاول أن يظهر من أخلاقه خلاف ما يبطن، ومن السلف من يعد الدين هو الأخلاق الكريمة ويعد الأخلاق الكريمة هي الدين، ومن ثم يقول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم] : إن المعنى: لعلى دين عظيم، لا دين أحب إليّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام.

ويقول ابن القيم: الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين. وقد أقبل

رجل على رسول الله ﷺ، فصار بين يديه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ فأجاب رسول الله ﷺ: الخلق. فأتاه الرجل من قبل يمينه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ فأجابه الرسول ﷺ ثانية: حسن الخلق. ثم أتاه الرجل من قبل شماله، وسأله: يا رسول الله، ما الدين؟ فأجابه الرسول مرة ثالثة: حسن الخلق. ثم جاءه الرجل من ورائه، وسأله: يا رسول الله، ما الدين؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ، وقال له: أما تفقه؟ هو ألا تغضب(1).

وهذا يتفق وما يراه علماء الأخلاق من أن الأخلاق ترجع إلى قيم ثلاثة، هي: الجمال والخير والحق. وإن الدين هو القوَّام على هذه القيم والداعي إليها والحارس لها(2).

والأخلاق التي ينبغي أن تضبط الأداء في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية هي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في العالم على أكمل وجه، والأخلاق نظام من العمل من أجل الحياة الخيرة وطريقة التعامل الإنساني مع الغير أيًّا كان هذا الغير ما دام كائنًا حيًّا، من حيث ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك كسلوك إنساني خير تجاه الآخرين، وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئولياته فيه التي يجب أن ينهض بها، وبناء على ما وضع له خالقه من أهداف في هذه الحياة(3).

كما تعني الأخلاق: القوى والسجايا النفسية الراسخة التي تصدر عنها أنماط السلوك الإنساني الخارجي من خلال إرادة حرة، وهي تمثل الصورة الباطنة للإنسان، كما أن الخلق يمثل الصورة الظاهرة وكلاهما يكون حسنًا أو قبيحًا، والأصل في الخلق أن يكون اختياريًّا يكتسب بالتخلق والجهد والمثابرة على التزام التسامي، وذلك يمدح به الإنسان أو يذم ويثاب عليه أو يعاقب، بخلاف الخلق فهو فطرة مقسومة محددة لا دخل فيها ولا اختيار، ولا يتعلق بها لذاتها مدح ولا ذم ولا يترتب عليها ثواب ولا عقاب.

على أننا ننبه على أن الله تعالى قد فطر الإنسان من حيث هو على الخير، وركز في فطرته أصول الأخلاق والفضائل السامية، وركب فيه حب موافقتها، وبغض إليه مخالفتها، إلا من انتكست فطرته تحت وطأة البيئة وضلال التربية وإغواء الشيطان، والاختيار الخلقي حينئذ يكون في اتجاه الإنسان مع أصول فطرته ومقاومة عوامل التجني والتضليل المذكورة، وإلى

---

(1) نقلًا عن أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، (بيروت: دار الرائد العربي، 1987) مجلد 1، ص ي.

(2) المرجع السابق، ص ي.

(3) عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، الطبعة الأولى (دمشق: دار ابن كثير، 1987م) ص 45.

ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس].

والإلهام: إلقاء الشيء في النفس. **والمعنى**: أفْهَم النفسَ الأمرين، وعرَّفها حالها وما يؤدي إليه كل منهما، ومكنها من اختيار أيهما شاءت، فيفوز من تطهر من الدنايا ويخيب من طمس فطرته، **ومعنى دساها**: أخفاها بالفجور والمعاصي. والآيات الكريمة تجمع بين ما قلنا من الإلهام للإنسان بمقتضى فطرته والجهد الاختياري له في التزكية أو التدسية، وواضح أن الله تعالى يدعو إلى طريق الخير الذي وصفه بالتقوى وفلاح صاحبه، ويكرِّه الطريق الآخر بما وصفه بالفجور وخيبة صاحبه، ولو شاء منعه قهرًا ولكن حكمته اقتضت الاختيار.

ولأن أمر الترقي بالأخلاق أمر مهم كان لابد لوسائل الاتصال أن تعمل في الإطار الذي يؤدي إلى إشاعة الأخلاق الفاضلة في الخصائص الكبرى التي تميز الإنسان وتجعل له معنى أكبر من حدوده الحيوانية، وقد كانت صياغة الأخلاق في المنهاج الإلهي صياغة وفق الاعتقاد وبناء على أساس الحقيقة الكبرى للكون والحياة وغاية الجنس الإنساني ومآله ومهمة وجوده، من حيث هو خليفة الله في الأرض، يقيم فيها شريعة الله ومنهاجه. وبين القرآن الكريم مهمة الأخلاق الخطيرة مع الإنسان منذ النشأة الأولى؛ حيث ذكر توبة آدم والانكسار بين يدي مولاه، فقال هو وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف]، فكان لهما في ذلك النجاة والقبول(1).

والمطلوب من وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تعمل جادة، وأن تركز على تربية المجتمع على الأخلاق الإسلامية، وهذا هو منهج القرآن والوحي.

لقد ركز الوحي نصف مدة نزوله على تربية الأمة الإسلامية على العقيدة والأخلاق، وشاد نظام الدولة على هذا الأساس المتين.. وتربت الأمة المسلمة الأولى على العقيدة والأخلاق، ولم تكن الصلاة عرفت بعد كفريضة، ولا الزكاة ولا الحج ولا الجهاد.

واستطاعت هذه الأمة بعد ذلك أن تهزم أعظم إمبراطوريتين على وجه الأرض، وأن تقيم على أنقاض حضارتهما أكبر حضارة عرفها التاريخ. جاء في القرآن قول الله لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم] مع قوله تعالى للمؤمنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(1) عبدالستار فتح الله سعيد، المنهاج القرآني في التشريع، الطبعة الأولى، (دار الطباعة والنشر الإسلامية، 1992) ص48-49.

لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]. وجاء في الحديث: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (السنن الكبرى للبيهقي:20571).

وجاء في الحديث كذلك: (من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) (الترمذي:2003).

لقد كانت أخلاق رسول الله ﷺ هي الترجمة العملية للقرآن، حتى أن السيدة عائشة ل قالت: (كان خلقه القرآن) (مسند أحمد: 25855)، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مُثُلًا قرآنية تتحرك، فتحوا القلوب بما لم تفتحه السيوف، ودخلت قارتان الإسلام بأخلاق المسلمين الذين كانوا ينتقلون خلالها للتجارة دون أن تراق الدماء(1). وواضح من ذلك أن الذين كانوا يقومون بالاتصال بهذه الشعوب كانوا منضبطين بالأخلاق الإسلامية، وهو منهج يجب أن تستفيد منه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية المعاصرة، حتى تكسب أنصارًا للإسلام، وتربي أفراد المجتمع على الأخلاق الإسلامية من خلال ما يراه الإنسان ويشاهده ويقرأه.

نجد وسائل الاتصال بمختلف أنواعها تشملها الأخلاق الإسلامية؛ إذ إن الأخلاق في الإسلام لم تدع جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية -روحية أو جسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو جماعية- إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع. فما فرقه الناس في مجال الأخلاق باسم الدين وباسم الفلسفة وباسم العرف أو المجتمع قد ضمه القانون الأخلاقي في الإسلام في تناسق وتكامل وزاد عليه كما يلي:

1- أن من أخلاق الإسلام ما يتعلق بالفرد في كافة نواحيه:

أ- جسمًا له ضروراته وحاجاته، بمثل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف]، وقول رسول الله ﷺ: (إن لبدنك عليك حقًّا)(2).

ب- وعقلًا له مواهبه وآفاقه: يقول الحق سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:101]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ].

---

(1) علي جريشة، المشروعية الإسلامية العليا (المنصورة: دار الوفاء، بدون تاريخ) ص 61.

(2) علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، الجزء السابع (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1407هـ) ص 239.

2- ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالأسرة:

أ- كالعلاقة بين الزوجين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء].

ب- وكالعلاقة بين الأبوين والأولاد: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف] ، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١﴾ [الإسراء].

ج- والعلاقة بين الأقارب والأرحام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل]، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾ [الإسراء].

3- ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالمجتمع:

أ- في آدابه ومجاملاته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ [النور].

ب- وفي اقتصاده ومعاملاته: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطفّفين]، ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾ [البقرة] .

ج- وفي سياسته وحكمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء].

4- ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بغير العقلاء؛ من الحيوان والطير، كما في الحديث: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة) (أبو داود:2550)، وفي الحديث: (في كل كبد رطبة أجر) (2234).

5- من أخلاق الإسلام ما يتعلق بالكون من حيث إنه مجال التأمل والاعتبار والنظر والتفكر والاستدلال، بما فيه من إبداع وإتقان على وجود مبدعه وقدرته على علمه وحكمته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران]. ومن حيث إنه مجالٌ للانتفاع والاستمتاع بما أودع فيه من خيرات وما بث فيه من قوى مسخرة لمنفعة الإنسان وما أسبغ فيه من نعم تستوجب الشكر لواهبها والمنعم بها. كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

6- وقبل ذلك كله وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق العظيم الذي منه كل النعم وله كل الحمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة].

فهو وحده المستحق بأن يحمد الحمد كله وأن ترجى رحمته الواسعة وأن يخشى عقابه العادل يوم الجزاء، وهو وحده الذي يستحق أن يعبد ويستعان، وأن تطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم، وبهذا يتجلى شمول الأخلاق الإسلامية من حيث موضوعها ومحتواها، ولكن الشمول في الأخلاق الإسلامية يبدو كذلك إذا نظرنا إلى فلسفتها ومصدر الإلزام بها، لقد شاء الله للإسلام أن يكون الرسالة العامة الخالدة؛ فهو هداية الله للناس كافة -كل الأمم وكل الطبقات، وكل الأفراد، وكل الأجيال- والناس تختلف مواهبهم وطاقاتهم الروحية والعقلية والوجدانية، وتتفاوت مطامحهم وآمالهم ودرجات اهتمامهم وطاقاتهم الروحية والعقلية والوجدانية، ولهذا جمعت الفكرة الأخلاقية وتفسيرها لمصدر الإلزام الخلقي، فلم يكن كل ما قالته هذه المذاهب والنظريات باطلًا كما لم يكن كله حقًّا، وإنما كان عيب كل نظرية أنها نظرت من زاوية وأغفلت أخرى، وهو أمر لازم لتفكير البشر الذي يستحيل عليه أن ينظر في قضية نظرًا يستوعب كل الأزمنة والأمكنة، فلا غرو إذا كانت نظرة الإسلام جامعة محيطة مستوعبة لأنها ليست نظرة بشر بل وحي من أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، لهذا أودع الله في هذا الدين ما يشبع كل نهمة معتدل وما يقنع كل ذي وجه ويلائم كل تطور، فمن كان مثاليًّا ينزع إلى الخير لذات الخير وجد في أخلاقية الإسلام ما يرضي

مثاليته، ومن كان يؤمن بمقياس السعادة وجد في الفكرة الإسلامية ما يحقق سعادته وسعادة المجموع معه، ومن كان يؤمن بمقياس المنفعة فردية كانت أو جماعية وجد في الإسلام ما يرضي منفعته، ومن كان يؤمن بالترقي إلى الكمال وجد فيه ما يحقق طلبه، ومن كان همه التكـيف مع المجتمع وجد فيه ما يلائم اجتماعياته، حتى الذي يؤمن بأهمية اللذة الحسية يستطيع أن يجدها في ما أعد الله للمؤمنـين في الجنة من نعـيم مادي وحسي: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّخرُف].

هذا الشمول في الأخلاق الذي يتمتع به الإسلام يجـب عـلى وسـائل الاتـصال أن تـبرزه وعلى القائمين على هذه الوسائل معرفة هذا الشمول في محـاوره المختلفـة حتـى يـستطيعوا أن يحموا المجتمع من الأخلاق السيئة التي تقعد بـالمجتمع ولا يـستطيع أن يـؤدي مهامـه وفـق المبادئ الإسلامية.

وإذا التزمت وسائل الاتصال في عرضها هذا الشمول على في مجال الأخلاق سوف تحقـق الانضباط المرجو على ضوء الإسلام(1).

والإسلام كما جاءت الأخلاق فيه شاملة كانـت واقعيـة؛ إذ إن الإسـلام جـاء بـالأخلاق الواقعية التي راعت الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهـير النـاس فاعترفـت بالـضعف البـشري والدوافع البشرية والحاجات البشرية والنفسية.

أ - لم يوجب الإسلام على من يريد الدخول فيه أن يتخلى عن ثروته وأمـور معيـشته كـما يحكي الإنجيل عن المسيح أنه قال لمن أراد اتباعه: دع مالك واتبعني. فلم قال القرآن مـا قـال الإنجيلـ بل راعى الإسلام حاجة الفرد والمجتمع إلى المال، واعتبره قوامًا للحياة وأمر بتنميتـه والمحافظة عليه، وامتن القرآن بنعمة الغني والمال في غـير موضـع، قـال الله تعـالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضُّحى].

وقال رسول الله ﷺ: (ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر) (الترمذي:94).

وقال لعمر بن العاص: (نعم المال الصالح للمرء الصالح) (مسند أحمد:17798).

ب- لم يجـيء في القـرآن ولا الـسنة مـا جـاء في الإنجيـل مـن قـول المـسيح أحبـوا أعداءكم...باركوا لأعنيكم ...من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر... ومـن سرق

(1) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص 117-121.

قميصك فأعطه إزارك[1].

قد يجوز هذا في مرحلة محدودة ولعلاج ظرف خاص، ولكنه لا يصلح توجيهًا عامًّا خالدًا لكل زمان ولكل الناس في كل عصر، وفي كل بيئة وفي كل حال؛ فإن مطالبة الإنسان العادي بمحبة عدوه ومباركة لاعنه، قد يكون فوق ما يحتمله؛ لذا اكتفى الإسلام بمطالبته بالعدل مع عدوه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة:8] .

ولقد تجلت واقعية الإسلام حين شرع مقابلة السيئة بمثلها بلا حيف ولا عدوان، فأقر بذلك مرتبة العدل ودرء العدوان، ولكنه حث على العفو والصبر والمغفرة للمسيء على أن يكون ذلك مكرمة يرغب فيها لا فريضة يلزم بها وهذا واضح في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النحل].

ج- ومن واقعية الأخلاق الإسلامية أنها أقرت التفاوت الفطري والعلمي بين الناس، فليس كل الناس في درجة واحدة؛ من حيث قوة الإيمان والالتزام بما أمر الله به من أوامر والانتهاء عما نهى عنه من نواهي والتقيد بالمثل العليا، فهناك مرتبة الإيمان ومرتبة الإحسان (وهي أعلاهن).

وهناك الظالم لنفسه والمقتصد والسابق، كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم، وإلى هؤلاء يشير قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر] .

فالآية الكريمة تجمل هؤلاء الأصناف الثلاثة على تفاوت مراتبهم من الأمة التي اصطفاها الله من عباده وأورثها الكتاب.

د- ومما يكمل هذا المعنى: أن الأخلاق الإسلامية لم تفترض في أهل التقوى أن يكونوا

(1) المرجع السابق، ص 165.

براء من كل عيب معصومين من كل ذنب كأنما هم ملائكة أولو أجنحة، بل قدرت أن الإنسان مكون من طين وروح، فإذا كانت الروح تعلو به تارة فإن الطين يهبط به طورًا. ومزية المتقين إنما هي في التوبة والرجوع إلى الله، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

ومن واقعية الأخلاق الإسلامية أنها راعت الظروف الاستثنائية كالحرب؛ فأباحت من أجلها ما يباح في ظروف السلم؛ كهدم المباني وتحريق الأشجار ونحوه، ومثل الكذب لتضليل العدو عن حقيقة الجيش الإسلامي وعدده، وعتاده وخططه، فإن الحرب -كما جاء في الحديث- خدعة (1).

وبما أن الأخلاق في الإسلام أخلاق واقعية قابلة للتطبيق كان لابد لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية الالتزام بالمنهج الأخلاقي الإسلامي، والأخلاق كما تقدم شاملة لكل نواحي الحياة، مما يجعل لوسائل الاتصال مادة متنوعة تعالج من خلال هذه المادة كل البرامج من منظور أخلاقي إسلامي.

ولم تقتصر الأخلاق الإسلامية التي تدعو لها الدولة الإسلامية من خلال وسائل الاتصال على الحياة الإنسانية الظاهرة والباطنة والفردية والجماعية، الداخلية والخارجية والمحلية والعالمية، بل أضافت لها بعدًا جديدًا وخطيرًا تمثل في إقامة دولة عالمية على أساس أخلاقي متين، فكان شيئًا فريدًا في نوعه أن يستوي الحاكم والمحكوم، وأن يقتص الحاكم من نفسه لأدنى رعاياه، وأن يعِفَّ عن أموال الدولة حتى يصل درجة الجوع والاستدانة، وأن يحرم الغدر ولو بالأعداء، وتحترم المعاهدات معهم حتى ينبذ إليهم على سواء، وغير ذلك كثير مما لم يكن للدولة به عهد ولا اعتبار، وربما كان لديهم مبادئ نظرية في هذا لكنها لم ترق إلى مواقع التنفيذ، فضلًا عن أن يصبح واقعًا عمليًّا لحياة الناس الواسعة المتقلبة، ومن هنا ندرك معنى قوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) (السنن الكبرى للبيهقي: 20571).

ذلك لأن الأخلاق من قبله لم تظفر بهذا التأسيس النظري والتطبيق العملي مع مدها إلى آفاق شاسعة من الحياة وأرجاء واسعة من الأرض، حتى أصبح للأخلاق ثقلها العظيم في الناس بعد أن كانت تتوارى، وغدت للدولة أخلاق ردت للإنسان معنى إنسانيته فيه، بعد أن

(1) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص 165- 168.

جردته الجاهليات وأضاليلها من خير معانيه وجماع الأخلاق الإسلامية يعود إلى أمرين، هما: (الخير والحق). وينبغي لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية الاهتمام بها. ولم يترك الله تعالى شيئًا من خلال الحق وخصال الخير إلا قرره وأكده، وبغض للناس نقيضه وأنذر من فعله(1).

ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية عندما يتم ضبطها بالأخلاق الإسلامية فهي تحقق أهداف عليا، وهي الأهداف التي هدفت لها الرسالات السماوية نفسها، إذ إن هدف الرسالات السماوية كلها هدف أخلاقي لأنها تستهدف إرشاد الإنسان إلى طريق الخير وإبعاده عن الشر في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة، وهذا هو موضوع الأخلاق.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: (الدين حسن الخلق).

وكانت عائشة -رضي الله عنها- تفهم هذا المعنى من الدين الإسلامي، ولهذا فهي عندما سئلت عن أخلاق النبي ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن).

ويؤيد ذلك قول الرسول ﷺ: (لأن أحسن الناس خلقًا أحسنهم دينًا) (2). وقوله كذلك: (ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق) وروي أنه قال: (حسن الخلق خلق الله الأعظم)(3).

وعندما سئل رسول الله ﷺ: أي الإسلام أفضل قال: (من سلم المسلمون من لسانه ويده) (البخاري:10). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم] أي: على دين فيه أخلاق عظيمة، ولأن الدين عبارة عن واجبات نحو المخلوقات الحية الأخرى، وإذا علمنا أن الله لم يصف أحدًا من أنبيائه بالخلق العظيم وإنما وصفهم بأوصاف مثل رشيد وصالح وحليم علمنا السر في أهمية الأخلاق.

وللرسالة الإسلامية غايات، ومن هذه الغايات والتي تريد الرسالة الإسلامية تحقيقها الغاية الإنسانية السامية، وهي أن يكون للإنسان خلق كريم وسلوك نظيف يليق بكرامة الإنسان ويتفق مع ما خلق له من خلافة عن الله في الأرض، وهذه هي الغاية التي حاولها الفلاسفة والعلماء والمصلحون عبر قرون مضت ولم يبلغوا منها شأوا ولم يصلوا إلى تحقيق هذا

(1) عبدالستار فتح الله سعيد، المنهاج القرآني في التشريع، مرجع سابق، ص 408- 409.

(2) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، الجزء 4، ص 362.

(3) أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط الجزء الثامن (القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ، ص 184).

الأمل المنشود، وجعلها الإسلام غاية وحرص على تحقيق هذه الغاية الخلقية النبيلة لإيجاد عناصر قوية وأفرادًا صالحين كي يستطيعوا أن يسهموا بقلوبهم وعقولهم في ترقية الحياة وإعلائها وليكونوا أهلًا لجوار الله ورضوانه فيما وراء هذه الحياة.

إن المثل الأعلى للأفراد هو الشرف والنزاهة والاستعلاء على الهوى وعرفان الحق والصواب والاستمساك بأهداب الفضيلة، والاندماج في جو روحي خالص بعيد عن نقائص المادة وشوائب الروح والمثل الأعلى للجماعة هو التعاون والإثار والنصيحة وإنكار الذات والمحبة والمودة والصدق والإخلاص والأمانة والتسامح وسلامة الصدر.

فإذا سارت وسائل الاتصال وفق الأطر الأخلاقية التي جاء بها الإسلام فإنها بترسيخ الأخلاق الإسلامية تصل بالإنسان إلى الكمال المتمثل في:

1- تفجير طاقات الإنسان كلها في طريقها الصحيح؛ العملية، والعقلية والروحية، والنفسية والجسدية، فلا تبقى طاقة معطلة، فيصبح العلم فريضة والتفكير فريضة والصفاء الروحي فريضة، والأخلاق اكتسابها والتحقق بها فريضة، وتدريب الجسم فريضة، والزواج في الإسلام أفضل من التفرغ للعبادة كما نص عليه فقهاء الحنفية.

2- أن كثيرًا من أخلاق النفس الإنسانية تموت لعدم استعمالها وتنميتها، أما في الإسلام فلا يبقى خلق للنفس إلا وقد نما من الحنان إلى الكرم إلى الحلم إلى الهداية إلى الرحمة إلى اللطف، وما من خلق للنفس إلا نما التنمية الصحيحة السليمة.

3- أن كثيرًا من الظواهر المَرَضِية تنمو عند الكافرين، كالحسد والغل والحقد والكبر والتعالي. أما في الإسلام فإن هذه الظواهر تجتث اجتثاثًا.

4- أن بالأخلاق الإسلامية وحدها يحقق الإنسان حكمة وجوده ويعثر بها على ملحه الصحيح في الوجود، وهو سيد الكون عند الله.

5- أن الأخلاق الإسلامية وحدها هي التي تجعل الإنسان يؤدي إلى كل ذي حق حقه - حيوانًا كان أو إنسانًا أو جمادًا أو نباتًا- فضلًا عن قيامه بحقوق رب العالمين.

وبهذا يكون المسلم وحده هو الإنسان في وضعه السليم الصحيح، وما عداه فلا نطلق عليه صفة الإنسان إلا تجاوزًا.

إن الله قد خلق رسوله مستجمعًا لكل الكمالات الإنسانية التي لا يبقى معها مزيدًا

لمستزيد، فإذا ما فرض الله على كل مسلم ومسلمة الاقتداء برسول الله ﷺ فشيء عادي الآن أن يكون المسلم الحق مستجمعًا من الكمال ما لا يستجمعه أحد (1).

وتستطيع وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تصل بالإنسان إلى الكمال في مجال الأخلاق، وأن تعلن أن رسول الله ﷺ كمثل أعلى كملت أخلاقه، وأن تقود وسائل الاتصال أفراد المجتمع في الدولة الإسلامية حتى تقنعهم بأن يجعلوا الرسول ﷺ أسوتهم في مكارم الأخلاق، ذلك أن الرسول ﷺ هو الذي استجمع كل الكمالات البشرية لاسيما في الأخلاق، والأخلاق التي ينبغي أن تضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية هي نظام من العمل من أجل الحياة الخيرة وطريقة التعامل الإنساني مع الغير أيًّا كان هذا الغير مادام كائنًا حيًّا، من حيث ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك إنساني من الخير تجاه الآخرين، وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئولياته فيه، والتي يجب أن ينهض بها، وبناء على ما وضع له خالقه من أهداف في هذه الحياة. والسلوك الأخلاقي في الإسلام يمثل روح الإسلام وحقيقته ونظامه.

وتتميز الأخلاق الإسلامية عما عرفته البشرية في الماضي والحاضر بخاصيتين:

الأولى: أن الأخلاق الإسلامية وحي من الله سبحانه وتعالى، والمسلم مطالب بتطبيقه والأخذ به ظاهرًا وباطنًا بحريته واختياره.

الثانية: أن الأخلاق الإسلامية طابعها إنساني، لا تتقيد بحدود الزمان والمكان، وهي أخلاق صالحة للبشرية مادامت على الأرض، وأن طابعها الثبات وعدم التحول أو التبدل، لأنها أيضًا إلهية مستمرة فيها صلاح العباد (2).

فما أحوج وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية إلى أن تنضبط بالضوابط الأخلاقية الإسلامية، وهي تحمل هذه الميزات وتنفرد بها عن غيرها من المذاهب، فلابد لهذه الوسائل أن تدعو للخير كميزة، وهي أسمى الغايات وأنبل المقاصد، ولابد أيضًا أن يحرص الإنسان على الخير ويسارع إليه.

والإنسان يسمو بالدعوة إلى الخير ويتشبه بالملائكة ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده الرحيم بخلقه، فالله يأمر بفعل الخيرات والمسابقة إليها يقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة].

إن غايات الناس مختلفة وأهدافهم شتى، فمنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية كالحياة

(1) سعيد حوى، الإسلام، الطبعة الثالثة (بيروت، دار الكتب العلمية، 1991) ص 319-319.

(2) عباس محجوب، أصول الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص 45.

والرئاسة والعلو في الأرض، وهو ما يسمى عندهم بالكرامة والشرف، أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخير والمسابقة إليه دائمًا، وقد أكثر الله سبحانه وتعالى من الدعوة إلى الخير وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج] .

وأخيرًا أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ [الأنبياء].

ومدح المسارعين إليه والحريصين عليه فقال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء] .

وجعل الله جزاء الخير الجنة، فقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ [المزّمل:20].

وروى ابن ماجه عن سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى (الخير الكثير) لعبد جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير) (ابن ماجه:238).

ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية مطلوب منها أن تقوم بالعمل الذي ذكره الحديث في حق الأفراد، وأن تكون هذه الوسائل مفتاحًا لهذا الخلق الكريم الخير، والله سبحانه وتعالى يوازن بين المثل العليا والاتصاف بالمكارم، ويبين أن الفضائل أبقى وأعظم زخرًا وأجدر باهتمام الإنسان وخير له في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف] ، ويقول: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ [الشورى].

ومن الأخلاق التي تضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية الحياء، وأن لا تقدم وسائل الاتصال ما يتعارض مع المبادئ الإسلامي في الحياء؛ لأنه من أقوى البواعث على الاتصال بما هو حسن واجتثاث ما هو قبيح، وإذا تخلق به المرء سارع إلى مكارم الأخلاق

وبعد عن رذائل الصفات وكان سلوكه نظيفًا مهذبًا؛ فلا يكذب في القول، ولا تطاوعه نفسه في اقتراف الإثم ولا تطارده الميول الفاسدة ولا يستبد به الهوى أو تتقلب عليه نزوات الشيطان. والحياء بهذا المعنى هو الذي عناه الرسول ﷺ وهو يحض صحابته على الاستمساك به بقوله: (استح من الله استحياء رجل ذي الهيبة من أهله) (1)، والاستحياء من الله يبينه رسول الله ﷺ بقوله: (استحيو من الله حق الحياء. قالوا: يا نبي الله، إننا لنستحيي والحمد لله. قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) (الترمذي:2458).

الحديث يشير إلى أن الحياء ليس هو الانكسار الذي يعتري الإنسان من خوف ما يذم عليه ولكن يتمثل في أمور، هي:

1 – حفظ الحواس السمع والبصر واللسان من أن تأتي منكرًا أو تفعل ما تندم عليه.

2 – حفظ البطن من الشراهة وكثرة تناول الطعام، وحفظها من أكل ما حرم الله وحفظ الفرج من الزنا والفواحش.

3 – ترك ما حرم الله من زينة الدنيا.

فهذا هو الحياء الكامل، والخلق الذي يريده الله للناس، وهو الأمر الذي يجب أن تسعى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية إلى إشاعته والانضباط به، والإنسان إذا تحلى به يبلغ نهاية الكمال، وإذا تخلى عنه سارع إلى الشر، والحياء من خلق الإسلام؛ يقول رسول الله ﷺ: (إن لكل دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء) (الترمذي:2458).

إن تعاليم الإسلام في الحياء يجب أن تنضبط بها وسائل الاتصال كواحدة من الضوابط الأخلاقية، ولا تعرض عنها لأن الإعراض عن هذا الخلق تنشأ عنه آثار سيئة، والملاحظ أن وسائل الاتصال في هذا العصر أعرضت عن هذا الخلق وهذه التعاليم؛ لذا نجد تفشي الاستهتار في المجتمع بالقيم الرفيعة والاستهانة بالتقاليد الحسنة والتحرر من الفضائل الموروثة، وانتشرت الرذائل وأخذت طريقها إلى إفساد القلوب والعقول، فمن مناظر التبرج وعرض مفاتن الجسد إلى أغاني رخيصة مبتذلة إلى كتب جنسية مثيرة إلى قصص عابثة إلى

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، 1408هـ).

صور فاضحة على شاشات التلفزيون إلى أفلام سينمائية خليعة تغري بالفسق والفجور، وكثير من أمثال هذه النقائص التي تسلب الإنسان الحياء وتزين له الشر وتغمسه في الشهوات والآثام. في الدولة الإسلامية يقع على عاتق وسائل الاتصال وضع خطة محكمة لتطهير أفراد الدولة الإسلامية من هذه المفاسد وتخليصهم من دعاة الإباحية والتحلل (1).

مما تقدم تتضح لنا أهمية الحياء في الإسلام، وكيف أنه من الأخلاق الأساسية لتقويم مسار المجتمع، وكذلك تقويم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية.

بجانب خلق الخير والحياء هنالك خلق مهم ينبغي أن تنضبط به وسائل الاتصال وهي تمارس دورها في التغيير الاجتماعي في الدولة الإسلامية؛ وهو خلق الأمانة، إذ لابد لوسائل الاتصال أن تشيع خلق الأمانة في المجتمع، وأن ينضبط الأداء في وسائل الاتصال بهذا الخلق. والأمانة واحدة من المبادئ الإسلامية المهمة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[الأحزاب]

الأمانة خلق إيجابي لا يستحق أن يوصف به إلا من سنحت له فرصة الخيانة فأظهر المناعة وقوة الإرادة والعفة المبنية على السمو في النفس والروح، والأمانة في المجتمع لا تكون بقوة السلطان؛ وإنما هي أخلاق يربى عليها المجتمع، ولذلك وجب على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقوم بتوجيه أفراد الدولة على الأمانة، وعرض مواقف وبرامج توضح أهمية الأمانة في المجتمع، وكيف أن المجتمع الذي تتوفر في أفراده الأمانة يمكن أن يكون مجتمعًا فاضلًا (2).

إن الآيات الواردة في الأخلاق وشمولها كثيرة ومثبتة في السور المكية والمدنية، وقد احتوت قواعد وتلقينات وتوجيهات أخلاقية شخصية أمرًا ونهيًا وحثًّا وتحذيرًا، لأن النظم السياسية والاقتصادية في الإسلام إنما تقوم على الأفراد، وتتأثر هذه النظم بالأفراد صلاحًا وفسادًا وقوة وضعفًا، والآيات لم تترك صغيرة ولا كبيرة من فاضل الأخلاق ورذيلها إلا وضحتها.

تجد وسائل الاتصال العديد من الأخلاق التي يمكن أن تضبط بها الأداء في مجالات شتى؛

(1) السيد سابق، إسلامنا، مرجع سابق، ص 156-160.

(2) عبد الغني الدقر، لمحات من الكتاب والنبوة الحكمة، 1998م، ص 29.

كالأمر بالأخلاق الحميدة مثل: الصبر، والصدق، والبر، والأمانة، والتواضع، والإخلاص، واللين، والعفو، والتسامح، والإحسان، والعفة، والاعتدال، والبذل، وقول الحق، وفعله، ونصرته، والبر بالفئات الضعيفة، وجعل الحسنى قاعدة التعامل، ودرء السيئة، والعدل والإنصاف المجردين من كل شائبة ونزوة وعاطفة، والتعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى الخير والحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالصبر، والرحمة، والاستمتاع بالطيب الحلال في حدود الاعتدال، والطهارة في البدن والثياب، واحترام الغير، ودمه، وعرضه، وماله.

والتنفير من الأخلاق الذميمة، مثل: الجزع، والكذب، والنكث، والخيانة، وشهادة الزور، والكبر، والزهو، والنفاق، والرياء، والفظاظة، والحقد، والفحش، والإسراف، والبخل، وكتم الحق، وخذله، واضطهاد الفئات الضعيفة، ومقابلة الإحسان بالإساءة، والبغي، والأنانية، والأثرة، والانهماك في اللذات والشهوات، والتعاون على الإثم والعدوان، والأمر بالمنكر، وإشاعة الفاحشة، والعدوان على حق الغير، ودمه، وعرضه، وماله.

فتتناول هذه القيم مشيرة إليها منوهة بالأولى وفاعليتها ومنددة بالثانية ومقترفيها وزاجرة عنها، ومبينة في الوقت ذاته ما للأخلاق الفاضلة من أثر في صلاح الإنسان وسعادته وطمأنينته وصلاح الإنسانية كذلك وسعادتها وطمأنينتها، وما لأضدادها من أثر سيء في حياة الإنسان والإنسانية مما انفرد به القرآن عن سائر الكتب السماوية شمولًا وأسلوبًا (1).

* * *

(1) محمد عزه دروزة، الدستور في شئون الحياة، دار إحياء الكتب العربية، ص 513، 514.